جامعة قطر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قيمة التَّعارف وأثرها على الحوار الحضاري في العهد المكِّي. دراسة وصفيَّة وتحليليَّة

إعداد

عبدالعزيز عبدالهادي حسن آل حثيث الأحبابي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يونيو 2022 / 1443هـ

2022©. عبدالعزيز عبدالهادي حسن الأحبابي. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرِّسالة المقدَّمة من الطَّالب/ة عبد العزيز عبد الهادي حسن آل حثيث الأحبابي بتاريخ 2022/5/16، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطَّالب المذكور اسمه أعلاه، وحسب معلومات اللجنة فإنَّ هذه الرِّسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطَّالب.

أ.د. محمد عبد الحليم بيشي

المشرف على الرِّسالة

د. محروس محمد محروس بسيوني

مشرفًا مشاركًا

أ.د. رمضان خميس

مناقش

أ.د. عبد العظيم صغيري

مناقش

تمَّت الموافقة:

الدكتور/ إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

عبدالعزيز عبدالهادي حسن آل حثيث الأحبابي، ماجستير في الأديان وحوار الحضارات: يونيو 2022.

العنوان: قيمة التَّعارف وأثرها في الحوار الحضاري في العهد المكِّي. دراسة وصفيَّة وتحليليَّة.

المشرف على الرِّسالة: الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالحليم بيشي.

هدفت الدِّراسة إلى التَّعرف على قيمة التَّعارف وأثرها في الحوار الحضاري في العهد المكِّي، عن طريق تناول قيمة التَّعارف وأثره في الحوار الحضاري، مع الأخذ بمواقف النَّبيّ ﷺ مع الصَّحابة -رضوان الله عليهم- ومع المشركين، وذلك اعتمادًا على المنهج الوصفي التَّحليلي، والتَّاريخي الاستقرائي.

وقد توصَّلت الدِّراسة لعدَّة نتائج من أهمِّها: أنَّ للتعارف وقِيّمهُ أهمِّيَّةً كبيرةً لتحقيق الحوار بين الحضارات، والمنهج القرآني والنَّبوي يذخر بالمواقف التَّعليمية والتَّربوية الَّتي تستند على قيمة التَّعارف وترجمتها المبادئ القرآنيَّة؛ فالتَّعارف يبرز قيمة الحوار، ومن خلاله يتمُّ الانفتاح على الغير من خلال وسائل التَّواصل المختلفة، وقد أوصت الدِّراسة بالاهتمام بالتَّعارف والحوار كمسألة ميدانية، وليس كونه مسألة أدبية تحلُّ بالكتابات.

الكلمات المفتاحية: قيمة التَّعارف- الحوار الحضاري- العهد المكِّي- أهل الكتاب.

ABSTRACT

The study sought to recognize the importance of acquaintance and its impact on the civilized conversation during Makkah, by representing the importance of acquaintance and its impact on the civilized conversation with considering prophet Mohamed's, may Allah bless him and grant him salvation, attitude with his companions, may Allah be pleased with them, and the polytheists. Along with explaining how Qatar state applied methods of acquaintance and civilized conversation through the national vision 2030. Using descriptive-analytical and historical-inductive method. The study achieved many results, some of most important results are: "acquaintance and its methods have a great importance to achieve the conversation among civilizations, The method of holy Qur'an and prophet, may Allah bless him and grant him salvation, includes many instructive pedagogical situations based on importance of acquaintance and its explanation of holy Qur'an's principles. Acquaintance displays the importance of conversation through whom the openness to others is achieved by different means of communication. The study recommends working on applying the research in moral values, acquaintance and conversation because of being a field issue.

Keywords: Importance of acquaintance - civilized conversation - Makkah era - People of the Book.

شكر وتقدير

الشُّكر والثناء لله –عزَّ وجلَّ– أوَّلًا على نعمة الصَّبر والقدرة على إنجاز العمل، فلله الحمد على هذه النِّعم.

ومن ثمَّ أتقدَّم بالشُّكر والتَّقدير إلى أستاذي الفاضل/ الدُّكتور محمَّد عبد الحليم بيشي، الَّذي تفضَّل بإشرافه على هذا البحث، والَّذي لم يألُ جهدًا في تقدم الدَّعم والتَّوجيه والإرشاد لإتمام هذا العمل على ما هو عليه، فله منِّي أسمى عبارات الثَّناء والتَّقدير.

وأتقدَّم بالشُّكر والتَّقدير إلى أستاذي الكريم الدُّكتور/ محروس محمَّد محروس بسيوني على إسهاماته الرَّائعة وملاحظاته السَّديدة الَّتي أفدتُ منها خلال إعدادي للأطروحة، والشُّكر موصول لأساتذتي الفضلاء الَّذين شرُفتُ بتدريسهم لي في مقررات برنامج الأديان وحوار الحضارات.

الباحث:

عبد العزيز عبد الهادي حسن الأحبابي

الإهداء

إلى الرُّوح الَّتي علمتني معنى الفقد،

إذ لا يكون الوجع في أيام الفقد الأولى،

بل حين تأتي الأيَّام السَّعيدة...

(فتنظر بحثًا عن أنيس روحك، ورفيق سعادتك فتجده قد رحل!!)

فتجد أن من يستطيع مشاركتك بشكل أعمق قد رحل....

إلى أمي الحبيبة رحمها الله..

أهدي إليكِ ثمرة جهدي.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.. هـ

الإهداء ....و

المبحث الأوَّل: شواهد التَّعارف في حياة النَّبيّ ﷺ في المرحلة المكِّية.................................13

المبحث الثَّاني: الأساليب القرآنيَّة في الحوار والجدل في العهد المكِّي، من خلال نماذج مختارة 14

الفصل الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف، ودور التَّعارف في التَّواصل الحضاري في الإسلام. 17

المبحث الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف...17

المبحث الثَّاني: مفهوم وقواعد وآداب الحوار وأثره في التَّواصل الحضاري. 45

الفصل الثَّاني: شواهد وتطبيقات قيم التَّعارف في الحوار الحضاري في العهد المكِّي 65

المبحث الأوَّل: شواهد التَّعارف في حياة النَّبيّ ﷺ في المرحلة المكِّية...............................65

المبحث الثَّاني: الأساليب القرآنيَّة في الحوار والجدل في العهد المكِّي، من خلال نماذج مختارة 83

المبحث الثَّالث: أشكال ومقوِّمات الحوار النَّبوي ومعاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى:...96

قائمة المصادر والمراجع:... 128

المراجع باللغة العربية:... 128

الملاحق: 141

أولًا: مقدمة البحث:

تتناول هذه الدِّراسة قيمة التَّعارف وأثرها في الحوار الحضاري في العهد المكِّي، فالأمة الإسلاميَّة التي قامت رسَّخت قيم التَّعارف؛ حيث إنَّها كانت سبَّاقة في الدَّعوة إلى الله بين القبائل العربية وغير العربية؛ وذلك لنشر الشَّريعة الإسلاميَّة والمعرفة والعلم القائمين عليها، وقد اتَّخذت من القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهرة منهاجًا لها ونبراسًا يُهتَدى به في جميع أمورها، مع الأخذ بمواقف النَّبيّ ﷺ مع الصَّحابة –رضوان الله عليهم– ومع المشركين، وكيف كانت أحواله –ﷺ– في حالات السِّلم والحرب.

وقد برزت قيمة التَّعارف، كمبدأ إسلاميٍّ مستمد من روح القرآن، ومن سُنَّة النَّبيّ ﷺ، فكان أحد الأساليب التَّربوية النَّافعة، والَّتي قامت في الأساس من منطلق الشَّريعة الإسلاميَّة، وكان قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13]، دعوةً صريحة لمد جسور التَّعارف بين كافَّة شعوب العالم.

وتتجلى قيم التَّعارف أيضًا من خلال تعارفه –ﷺ– مع الملوك والأمراء في الممالك المجاورة، عن طريق إرسال الوفود والرَّسائل، وغيرها من الأساليب الَّتي تنوَّعت وتعدَّدت طرائقها، فجعلت المتلقين لها يقبلون على دعوته ﷺ، ويتحرون ساعة قدومه عليهم، وينتظرون حواره الكريم.

ومن هذا المنطلق فإنَّ هذه الدراسة ستعني بالوقوف على القيم المختلفة للتعارف، وأثرها على التَّواصل الإنساني والحضاري، مع إبراز مظاهر تطور التَّواصل الحضاري خلال العهد المكي، وذلك

من خلال استعراض أحاديث النبي ﷺ، وكتبه ورسائله لملوك الحبشة والروم والفرس، كذلك مواثيقه وعهوده مع تلك الشُّعوب والقبائل الأخرى، وأثر ذلك على الحضارة الإسلامية.

إنَّ التَّواصل مهارةٌ وسيلتها الحوار؛ فالحوار وسيلة لجذب المتلقي، وبه تبرز طرق تهذيب الأبناء، فمن خلاله يبرز الدِّين، والأدب، والعلم، والفكر؛ لذا فإنَّنا في هذه الدِّراسة سنقف على قيمة التَّعارف، والأساليب الحوارية في السُّنَّة النَّبويَّة المطهرة، عن طريق الرُّجوع إلى شروح السُّنَّة من مصادرها المعتمدة، والكتب المتَّصلة بذلك الموضوع قديمًا وحديثًا.

ثانيًا: إشكالية البحث وأسئلته:

إنَّ التَّعارف قاعدة من القواعد الاجتماعية الأصيلة الَّتي رسَّخها الإسلام، وقد أوضح القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة قيمته في قيام مجتمع متوازن ومتكامل، لديه القدرة على التَّواصل والتَّفاعل، وقد احتوت سُنَّة النَّبيّ ﷺ وسِير الخلفاء الرَّاشدين والصَّحابة الكرام -ﷺ- على الكثير من أسس التَّعارف مع الآخر، وقيمته في التَّواصل الحضاري منذ القدم، والَّتي تعدُّ تجسيدًا لقيم التَّعارف والتَّواصل مع الآخر في وقت السِّلم والحرب، خاصَّة وأنَّ التَّعارف مع الأمم المختلفة كان وسيلةً للتعريف بالدِّين الإسلامي ونشره، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّين مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسول شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

فالسُّنَّة النَّبوية تشكِّل مصدرًا مهمًّا للعلوم الإنسانية، وشواهدها الشَّريفة خير داعمٍ لمفاهيم قيم التَّعارف؛ من خلال مواقف السِّيرة النَّبوية، والَّتي هي أصدق دليل على إمكانية تطبيق نظريات التَّعارف المتجددة، ومن هذا المنطلق؛ فإنَّنا بحاجة للسير في رياض السُّنَّة النَّبوية المطهرة، وسيرته العطرة ﷺ، لننطلق من سنته الشَّريفة نحو رحاب أوسع، ومجالات أكبر، في الحياة العلميَّة والعمليَّة، وذلك عند تحويلها إلى مواقف تطبيقية فاعلة في حياتنا اليومية؛ حتَّى نزداد علمًا بها، ونكون أكثر الأمم تطبيقًا لها، وتمسكًا بها.

وقد اشتملت سُنَّة النَّبيّ ﷺ، على العديد من المواقف الحواريَّة النَّاجحة، بين رسول الله ﷺ وأزواجه، وأصحابه، وأتباعه، وحتَّى بينه -ﷺ- وبين أتباع الدِّيانات الأخرى، والَّتي أضحت منهجًا واضحًا لكافَّة المسلمين وغيرهم، ممن يريدون سلوك الطَّريق القويم، ويرحبون بترسيخ قيم التَّعارف بين دولة الإسلام وبين دولهم.

وتأتي أهمِّيَّة التَّعارف والحاجة لامتلاك أساليبه السَّليمة، لما يسهم به في نشر الفكر الصَّحيح وتوضيح الحق، ولأهمِّيَّة هذا؛ فقد عني المهتمون ببناء الذَّات الإنسانية بتلقي تلك المهارات واستقائها منذ أقدم العصور، وتتضح أهمِّيَّة التَّعارف في قول موسى عليه السلام لله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: 25- 28].

ومن خلال هذا البحث، سوف يتمُّ بيان الحقيقة التي قامت عليها العقيدة الإسلاميَّة، وقيم الإسلام النَّبيّلة والبنَّاءة للآخر؛ حتَّى يتعرف الآخر على ماهية الدِّين، ومن ثمَّ الرَّد على الاتِّهامات الَّتي ألصقت بالدِّين، مثل الانعزالية والتَّشدد، وما تبع ذلك من الشُّبهات المتعلِّقة بعلاقة المسلمين مع الآخر، فضلًا عن بيان تلك المفاهيم؛ ليزداد المسلمون اعتزازًا بدينهم، ويزداد تمسكهم بقيمه ومبادئه.

وعليه فإنَّ إشكالية البحث تكمن في تطبيق قيمة التَّعارف بهدف نشر الرِّسالة في العهد المكِّي، والطُّرق والأساليب الَّتي انتهجها الرَّسول ﷺ والصَّحابة ﷺ لتفادي التَّحدِّيَّات الَّتي واجهتهم باعتماد التَّعارف كقيمة إسلامية سامية؛ لذا يسعى الباحث إلى بيان قيمة التَّعارف والأساليب الحواريَّة للنبي ﷺ، الواردة في ثنايا السُّنَّة النَّبوية المطهَّرة، وتطبيقاتها في السِّيرة النَّبوية، وأثرها على الحضارة الإسلاميَّة في العهد المكِّي.

وسوف يجيب هذا البحث عن سؤال رئيس، وهو: **ما أثر قيمة التَّعارف على الحوار الحضاري في العهد المكِّي؟**

ويتفرع عن هذ السُّؤال الرئيس، أسئلة فرعية، وهي:

1. ما أسس التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي؟
2. ما أساليب التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي؟
3. ما وسائل التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي؟
4. ما أهداف التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي؟
5. ما أبرز إسهامات التَّعارف في الحوار الحضاري في العهد المكِّي؟

ثالثًا: أهداف البحث:

1. بيان أسس التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي.

2. تحديد أساليب التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي.

3. بيان وسائل التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي.

4. توضيح أهداف التَّعارف والتَّواصل في العهد المكِّي.

5. إبراز أثر قيمة التعارف على الحوار الحضاري في العهد المكي.

رابعًا: أهمِّيَّة البحث ودواعي طرح مسائله:

1. يسهم البحث في دعم برامج ودراسات تأصيل العلوم وتوجيهها إسلاميًّا، وتحقيق التَّكامل المنشود بين علوم القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهرة، والحوار الهادف وأثره في بناء الحضارات.
2. إرشاد المهتمين بالتَّطور الحضاري إلى مصادره الثَّابتة؛ من خلال إظهار نموذج ناجح متمثل في منهج الرَّسول الكريم ﷺ.
3. تقديم مجموعة من القواعد والمبادئ الأساسيَّة، والَّتي تُظهر أساسيات الحوار في الحضارة الإسلاميَّة، وذلك في أوقات السِّلم والحرب، من خلال سردها من واقع القصص القرآني والأحاديث النَّبوية الشَّريفة.
4. تقديم دراسة تُسهم في تحديد الأسس النَّظرية الَّتي تستند عليها قيمة التَّعارف مع الحضارات المختلفة، ودورها في تعزيز قيم التَّعايش السِّلمي للمجتمعات.
5. تقديم دراسة أكاديمية، يحاول الباحث من خلالها الوصول لحلول بنَّاءة لمشكلات الحوار بين المجتمعات الإسلاميَّة والآخر.
6. الرَّبط بين قيمة التَّعارف وحياة الرَّسول ﷺ، وعرض نماذج تطبيقية لذلك خلال العهد المكِّي، وهو ما لم تتطرق له دراسات سابقة –على حدِّ علم الباحث–، بما يستلزم المزيد من البحث والدِّراسة.

خامسًا: منهج البحث:

يعتمد البحث على مناهج عدَّة وفقًا لطبيعة البحث، ومنها المنهج الوصفي، والتَّاريخي، والاستقرائي، ثمَّ المنهج التَّحليلي؛ وذلك لتوضيح قيمة التَّعارف، وبيان تطبيقاتها في العهد المكِّي، من خلال القصص القرآني، وسيرة النَّبيّ الكريم ﷺ، وسنَّته المطهَّرة.

ومن الخطوات المهمة الَّتي اتُّبعت في إجراء البحث:

1. الاطِّلاع على أهمِّ الدِّراسات الَّتي تناولت بالبحث قيم التَّعارف والحوار الحضاري.
2. مراجعة القصص القرآني، واستخراج قيم التَّعارف والحوار من خلالها.
3. مراجعة ما ورد في السُّنَّة النَّبوية، والسِّيرة، والتَّاريخ، وبيان مواقف النَّبيّ ﷺ فيها، وتناولها بالتحليل.
4. الرَّبط بين الدِّراسات النَّظرية، ومعطيات الواقع؛ لتحقيق أهداف الدِّراسة، وغاياتها، ونتائجها.

سادسًا: الدِّراسات السَّابقة، والإضافة العلميَّة:

1. **دراسة النيفر، حميدة، بعنوان: "منزلة التَّعارف والاعتراف في منظومة القيم القرآنيَّة"**، النَّاشر: المحور، (د، ت)، عدد الصَّفحات: 21.

هدفت الدِّراسة إلى التَّعرف على منزلة وتاريخ التَّعارف في منظومة القيم القرآنيَّة، وقد اتَّبع الباحث المنهج الاستقرائي التَّحليلي، من خلال استقراء كتب السِّير والصَّحابة ﷺ.

2. **دراسة الشّريف، رحاب عبد الرَّحمن، بعنوان: "منهج الحوار السِّياسي في الإسلام"، رسالة ماجستير، جامعة أمّ درمان الإسلاميَّة، كلّيَّة الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، 1990م، عدد الصَّفحات: 120.**

قدَّمت الباحثة في هذه الأطروحة دراسة نموذجية لمنهج الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ، وقد اتَّبعت الباحثة المنهج الوصفي والتَّحليلي، واهتمت بخصائص الحوار الإسلامي في الإسلام، وبيان أصوله وقواعده.

وهدفت الباحثة من خلال الدِّراسة إلى الاعتداد بالقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهرة في الحوار، ومحاولة استخلاص مناهج جديدة منبثقة من القرآن الكريم، وهَدي النَّبيّ ﷺ.

3. **دراسة العجمي، محمَّد عبد السَّلام، بعنوان: "الجوانب التَّربوية في رسائل النَّبيّ ﷺ إلى الملوك والزُّعماء"، جامعة الأزهر، كلّيَّة التَّربية، ع87، 1999م، عدد الصَّفحات: 45.**

هدف الباحث من خلال دراسته إلى الكشف عن الجوانب التَّربوية في رسائل النَّبيّ ﷺ، خاصَّة ما يرتبط بكلٍّ من التَّربية الإيمانية، والسِّياسية، والاجتماعية، كما هدف الباحث إلى الوقوف على أهمِّ الأساليب والطُّرق المتضمنة من تلك الرَّسائل والمواقف، بالإضافة إلى لفت الأنظار إلى التُّراث التَّربوي الإسلامي الزَّاخر بالأفكار والآراء، والَّتي يحتجُّ بها الباحث، ويهدف إلى تطبيقها في عصرنا الحالي، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستنباطي كمنهج للبحث؛ وذلك من خلال استنباط الأحكام

الشَّرعيَّة الخاصَّة بالتَّعارف في كتب السِّيرة، وكذلك استخلاص الجوانب التَّربوية المتعلِّقة بها.

4. **كتاب الدُّكتور/ الباش، حسن، بعنوان: "منهج التَّعارف الإنساني في الإسلام"، الناشر: جمعية الدَّعوة الإسلاميَّة العالمية، 2005م، عدد الصَّفحات: 192.**

وقد اتَّبع المؤلف المنهج الاستقرائي التَّحليلي، والَّذي من خلاله يتمُّ استقراء المؤلَّفات وكتب السِّير والأعلام وتحليلها؛ للوصول إلى القواعد منها.

5. **دراسة العموش، بسام علي سلامة، بعنوان: "مزايا محاورات النَّبيّ ﷺ"، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، مج34، ع1، 2007م، عدد الصَّفحات: 10.**

تناول الباحث أسس الحوار السَّليم مع الآخر، وبيَّن من خلاله ضعف الحوار في العصر الحالي، وكيف أنَّ أسلوب النَّاس في العصر الحالي يؤدِّي إلى التَّباغض والنُّفور، ويبرز العداوة، وهذا يخالف المنهج النَّبوي الصَّحيح.

وقد اتَّبع الباحث في دراسته المنهج التَّاريخي، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي والتَّحليلي.

6. **كتاب الدُّكتور/ البغا، محمَّد الحسن، بعنوان: "مفهوم التَّعايش وضروراته ومبادئه بين المسلمين وغيرهم"، وزارة الأوقاف والشُّؤون الدِّينية، عمان، عدد الصَّفحات: 27.**

قدَّم المؤلف لمفهوم التَّعايش مع أهل الذِّمة، وقد اتَّبع المنهج الاستقرائي التَّحليلي؛ حيث قام بتحليل مبادئ التَّعايش من حسن المعاملة، والحوار، والتَّعاون على البر

والتَّقوى، ومراعاة مشاعر الآخر، وحقوق الإنسان، ودور ذلك في التَّعايش مع الآخر.

7. **دراسة برغوت، عبد العزيز، بعنوان: "مفهوم التَّعارف والتَّدافع وموقعها في الحوار من المنظور الإسلامي"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، بحوث ومقالات، مجلة إسلامية المعرفة، مج16، ع63، 2011م، عدد الصَّفحات: 29.**

تناول الباحث في تلك الدِّراسة مفهوم التَّعارف والتَّدافع، وموقع تلك المفاهيم في الحوار الحضاري من المنظور الإسلامي، كما حاول توضيح مسألة التَّعارف الحضاري والتَّدافع الحضاري باعتبارهما من المفاهيم الرئيسية والأصيلة المسلَّم بها في الدَّولة الإسلاميَّة.

ثمَّ حاول الباحث الرَّبط بين تلك المسلَّمات، وأصحاب الحضارات الأخرى، واعتمد الباحث في دراسته على المنهج التَّاريخي والتَّحليلي؛ ليعالج موقع التَّعارف والتَّدافع في الحوار الحضاري، كما استهدف البناء العام لمسألة الحوار المنضبطة بقيم التَّعارف وقوانين التَّدافع، والَّتي تمتلك رؤية منسجمة تمامًا مع الفطرة، وكيف تسهم التَّحولات الدِّيناميكية في التَّطور الحضاري، وكيف يتمُّ توظيف تلك القوى الحضاريَّة والعمرانية؛ حتَّى تنضبط قوَّة الإيمان والقيم، وقوَّة المعرفة والعلم.

8. **دراسة أبو سيف، ليندا نعيم، بعنوان: "منهج النَّبيّ ﷺ في الدَّعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء"، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2012م، عدد الصَّفحات: 194.**

وقد اتَّبعت الباحثة في دراستها المنهج التَّاريخي الاستقرائي؛ وذلك من خلال استقراء كتب السِّيرة النَّبوية، كما اتَّبعت المنهج الوصفي التَّحليلي؛ عن طريق وصف أفعال النَّبيّ ﷺ، وبيان رسائله إلى قادة وأمراء الدُّول، واستقاء العبر التَّربوية منها.

9. **دراسة الدِّيهي، محمَّد إسماعيل محمَّد، بعنوان: "المنهج النَّبوي في تعزيز القيم المهارية وسبل تفعيلها"، جامعة المنوفية، كلِّيَّة الآداب، مجلَّة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، ع51، 2015م، عدد الصَّفحات: 32.**

اتَّبع الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي التَّحليلي؛ وهدف من خلال الدِّراسة إلى تأصيل القيم الحواريَّة في السُّنَّة النَّبوية، والتَّأكيد على الدَّور الحضاري للقيم بشكل عام في الإسلام، وتوضيح المنهج النَّبوي في تعزيز القيم، كما تناول الباحث سبل التَّعارف السَّليمة، والَّتي أرستها الشَّريعة الإسلاميَّة، وكيف تسهم في التَّطور الحضاري.

10. **دراسة حايد، فريدة، بعنوان: "مقصد التَّعارف وأثره في القانون الدُّولي الإسلامي"، إسلامية المعرفة، ع92، س23، ربيع 2018م، عدد الصَّفحات: 36.**

وقد اتَّبعت الباحثة في دراستها المنهج التَّحليلي الاستقرائي، وهدفت الدِّراسة إلى بيان أثر التَّعارف بين الشُّعوب والأمم بوصفه هدفًا لبناء العلاقات في الإسلام، وقد عرضت الباحثة أهمِّيَّة مقصد التَّعارف، وأثره في الفقه الحضاري، والعلاقات الدُّولية

بين الواقع والقانون، وبيان ضرورة أن يكون الغرض من التَّعارف مبنيًّا على قيم الحضارة ومعاني الإسلام السَّامية، بما في ذلك فقه التَّعارف، وما يقوم عليه من مقاصد تعني بوحدة الإنسان في ظلِّ الاختلاف والتَّنوُّع.

سابعًا: التَّعقيب على الدِّراسات السَّابقة:

1. تشابهت الدِّراسة مع بعض الدِّراسات السَّابقة، ومثال ذلك؛ دراسة (الشّريف، 1990م) والَّتي ركَّزت على قيم الحوار، في عهد النَّبيّ ﷺ.
2. تناولت بعض الدِّراسات إشكالية الدِّراسة الحالية، مثل دراسة (برغوت، 2011م)، والَّتي اتَّفقت مع هذه الدِّراسة في قيم التَّعارف، ولكنَّها لم تتناول كيفية تأثير قيم التَّعارف على التَّواصل الحضاري.
3. من الدِّراسات السَّابقة ما يقترب من الدِّراسة الحالية بصورة كبيرة، مثل دراسة (الدّيهي، 2015م)، والَّتي ركَّزت على المنهج النَّبوي وسبل تفعيله، إلَّا أنَّها تختلف مع الدِّراسة الحالية في تركيزها على قيم التَّعارف في السُّنَّة النَّبوية، وأثرها في الحوار الحضاري.
4. اتَّفقت الدِّراسة الحالية مع الدِّراسات السَّابقة في منهج البحث المستخدم؛ حيث تمَّ اعتماد المنهج الاستقرائي التَّحليلي والتَّاريخي كمنهج للبحث، فقد تمَّ استقراء جُملة من الأدبيات وتحليلها؛ للوصول إلى القواعد والقيم المتعارفة سابقًا والَّتي تناولت قيم التَّعارف، كم ربطت مُجمل الدِّراسات قيم التَّعارف بالنُّمو الحضاري، وبيَّنت أثرها عليه.

ثامنًا: هيكل البحث:

المقدِّمة.

مشكلة الدِّراسة وأسئلتها.

أهداف الدِّراسة.

منهج الدِّراسة.

الدِّراسات السَّابقة، والتَّعقيب عليها.

الفصل الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف، ودور التَّعارف في التَّواصل الحضاري في الإسلام.

المبحث الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف.

أولًا: مفهوم قيمة التَّعارف.

ثانيًا: أهمِّيَّة قيمة التَّعارف.

ثالثًا: أهداف قيمة التَّعارف.

رابعًا: قواعد وآداب ومعوِّقات قيم التَّعارف في الشَّريعة الإسلاميَّة.

1. قواعد التَّعارف.
2. آداب التَّعارف العامة.

3. معوِّقات التَّعارف.

خامسًا: دور التَّعارف في التَّواصل الحضاري وضوابطه في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة.

المبحث الثَّاني: مفهوم وقواعد وآداب الحوار وأثره في التَّواصل الحضاري.

أولًا: مفهوم الحوار، والحوار الحضاري.

ثانيًا: قواعد الحوار.

ثالثًا: آداب الحوار العامة.

رابعًا: أثر الحوار في التَّواصل الحضاري وضوابطه في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة.

خامسًا: ضوابط الحوار في الشَّريعة الإسلاميَّة.

سادسًا: نماذج من حوارات النَّبي ﷺ .

الرَّأي الشَّخصي.

الفصل الثَّاني: شواهد وتطبيقات قيم التَّعارف في الحوار الحضاري في العهد المكِّي.

المبحث الأوَّل: شواهد التَّعارف في حياة النَّبيّ ﷺ في المرحلة المكِّية

أوَّلًا: معرفة الرَّسول بمكَّة ومجتمعها القرشي.

ثانيًا: معرفة الرَّسول بمكَّة وأطيافها الاجتماعيَّة.

ثالثًا: معرفة النَّبيّ ﷺ بالواقع الدِّيني الكتابي.

رابعًا: معرفة النَّبيّ ﷺ بالواقع العربي.

المبحث الثَّاني: الأساليب القرآنيَّة في الحوار والجدل في العهد المكِّي، من خلال نماذج مختارة.

أوَّلًا: نموذج سورة الأنعام.

ثانيًا: نموذج سورة القصص.

ثالثًا: نموذج سورة الكهف.

المبحث الثَّالث: أشكال ومقوِّمات الحوار النَّبوي ومعاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى.

أوَّلًا: أشكال الحوار.

ثانيًا: موقف قريش والمشركين من الحوار النَّبوي.

ثالثًا: الملامح العامَّة لآداب الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ.

رابعًا: مقوِّمات الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ وآثارها الحضاريَّة.

خامسًا: أثر معاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى.

سادسًا: أثر التَّعارف على العلاقات الاقتصاديَّة بين الرِّسالة الإسلاميَّة والشُّعوب الأخرى

الرَّأي الشَّخصي.

الخاتمة: تضمنت النَّتائج والتَّوصيات والمقترحات.

الفصل الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف، ودور التَّعارف في التَّواصل الحضاري في الإسلام.

المبحث الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف.

أوَّلًا: مفهوم قيمة التَّعارف.

ثانيًا: أهمِّيَّة قيمة التَّعارف.

ثالثًا: أهداف قيمة التَّعارف.

رابعًا: قواعد وآداب ومعوِّقات قيم التَّعارف في الشَّريعة الإسلاميَّة.

1. قواعد التَّعارف.
2. آداب التَّعارف العامة.
3. معوِّقات التَّعارف.

خامسًا: دور التَّعارف في التَّواصل الحضاري وضوابطه في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة.

المبحث الثَّاني: مفهوم وقواعد وآداب الحوار وأثره في التَّواصل الحضاري.

أوَّلًا: مفهوم الحوار والحوار الحضاري.

ثانيًا: قواعد الحوار.

ثالثًا: آداب الحوار العامَّة.

رابعًا: أثر الحوار في التَّواصل الحضاري وضوابطه في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة.

خامسًا: ضوابط الحوار في الشَّريعة الإسلامية.

سادسًا: نماذج من حوارات النَّبي ﷺ.

الفصل الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف، ودور التَّعارف في التَّواصل الحضاري في الإسلام.

المبحث الأوَّل: مفهوم، وأهمِّيَّة، وأهداف قيمة التَّعارف

أوَّلًا: مفهوم قيمة التَّعارف

القيمة: جمعُها (قِيَمْ)، وقِيمَة الشَّيء هي: قدره، وَقِيمَة الْمَتَاع: تتمثَّل في ثَمَنِهِ، "وَمن الْإِنْسَان طوله، وَيُقَال: مَا لفُلَانٍ قيمَة، أي: مَا له ثبات ودوام على الْأَمر"[1]، والقيمة في اللغة تعني: قَيِّمٌ، قَوِيم، حسنُ القامة، والقِيمة بالكسر: واحدة، والقِيم: وهو ثمن الشَّيء بالتَّقويم، فالقيمة: تدلَّ على الشَّيء الَّذي يحمل في ذاته منفعةً، أو ثمنًا وزِنة[2].

ومن الألفاظِ الَّتي تتصل بالقيمة وتُعززُ المعنى اللُغوي لها: "الاستقامة والاعتدال"، فاستقام الشَّيء: أي اعتدل، واستوى، وأحسن فِعله[3].

أمَّا القيمة اصطلاحًا: فقد عرَّفها عبد اللطيف خليفة بأنَّها: "مجموعة الأحكام الَّتي يُصدرها الفرد، بالتَّفضيل أو عدم التَّفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات، وتتمُّ هذه العملية من خلال التَّفاعل بمعارفه وخبراته، وفي ظلِّ الإطار الحضاري الَّذي

---

(1) مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج2، ص768، باب القاف، مادة (ق ي م).

(2) الزّبيدي، محمَّد بن عبد الرَّازق (ت 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، ج33، ص312، مادة (ق و م).

(3) ابن منظور، محمَّد بن مكرم (ت 711هـ)، **لسان العرب**، ج12، ص499، فصل القاف، مادة (ق ي م)، بتصرف.

يعيش فيه، ويكتسب من خلاله الخبرات والمعارف"[1]، **والقيمة هي:** الثَّمنُ الَّذي يُقاوم المتاع، أي يقوم مقامه، **وشرعًا:** هي ما تدخل تحت تقويم المقوِّم[2].

ويمكن تعريف التَّعارف اصطلاحًا بأنَّه: هو التَّعاون والتَّكامل على تحقيق استخلاف الله – سبحانه وتعالى– للإنسان في الأرض، والتَّعاون على خدمة البشرية حتَّى في ضوء تباين العقائد والأخلاق، فهو مبدأ إسلاميٌّ واستراتيجية للإنسانية وُجِدت أسسها في القرآن الكريم، من حيث الدَّعوة إلى التعارف عن طريق إيجاد القواسم المشتركة بين البشر.

أمَّا عن التَّعارف في اللغة: فهو من مادة: (عَرَفَ)، ومنها: المعرفة والعرفان، وتدلُّ على: السُّكون والطَّمأنينة، فيُقال: "عرف فلانٌ فلانًا" أي: "سكن إليه"؛ لأنَّ من أنكر شيئًا، توحَّش منه[3]، والعرفان يُراد به: العلم، فيقال: "تعارف القوم" أي: "عرف بعضهم بعضًا"[4].

والتَّعارف هو: أن يعرف النَّاس بعضهم بعضًا، حسب نسبتهم جميعًا إلى أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة أوَّلًا، ثمَّ بحسب الدِّين والشُّعوب، والَّذي يكون مدعاة للشفقة والألفة والوئام لا إلى التَّنافر والعصبية.

ومقصد التَّعارف، هو سبيل الوحدة الإنسانية من دون تناحر، مع المساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم؛ لأنَّه في الحقيقة يعني الوئام والسَّلام مع مختلف دول العالم، بدلالة لفظ

---

(1) خليفة، عبد اللطيف محمَّد، **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، سلسلة كتب ثقافة شهرية، بإشراف أحمد مشاري العداوني، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1990م)، ص51.

(2) البركتي، السيد محمَّد عميم الإحسان المجددي، **التَّعريفات الفقهية**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ)، ص179 (باب: حرف القاف).

(3) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (بيروت، دار الفكر، 1979)، ج4، ص281، مادة (عَرَفَ).

(4) ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، ص242، فصل العين المهملة، مادة (ع ر ف).

﴿شُعُوبًا﴾، والَّتي ورد ذكرها في الآية الكريمة، فإنَّ المراد من التَّعارف هو التَّأسيس لعلاقة تقوم على السَّلام والمحبة والتَّعاون مع العالم أجمع، وليس فقط مع القبيلة أو الدَّولة؛ فالشُّعوب هي أعظم ما يوجد من جماعات النَّاس، إذ إنَّهم يرتبطون بنسب واحد، ومن ثمَّ، فلا دليل في الآية الكريمة على قصر الخطاب على المسلمين، وإنَّما هو خطاب الله تعالى للعالمين[1].

وقد جعل الله تعالى الاختلاف بين النَّاس آية من آيات الكون، ولا يمكن لأي شخص أن يُزيله أو يُبدِّله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الرُّوم: 22]، لذا فليس من الغريب أن يدعو الإسلام المسلمين إلى التَّعارف والتَّواصل مع من يخالفهم في الجنس، أو اللغة، أو المعتقد، ولو شاء الله –تعالى– لجعل النَّاس جميعهم مسلمين، فكان قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

وهذه قاعدة قام المسلمون من خلالها بدورهم الحضاري؛ فتمكَّنوا من العيش الكريم في ظلِّ التَّشريع الإسلامي، الَّذي يحقق مصالحهم في معاشهم ومعادهم، وفي ضوء ذلك، يعرف الإنسان دوره ورسالته في ذلك الوجود، ويسهم في تحقيقها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، فقد أثَّر التَّعارف في إنشاء المجتمعات الفاضلة، وهو في حقيقته يمثل مبدأ الوئام والسَّلام والتَّعايش، الَّذي يسهم في تحقيق المقاصد الضَّرورية، فدرجة القصد إليه قد تكون ضرورية، أو حاجية، أو تحسينية، والآية الكريمة أُثبت من خلالها التَّعارف بوصفه مقصدًا للشريعة الَّتي قد تكون

---

(1) دخوش، كلثومة، **مفهوم التَّعارف بين مقصدي الخلق والتَّشريع**، (الرِّباط: ندوة علمية دولية بعنوان: مقاصد الشَّريعة والسِّياق الكوني المعاصر، الرَّابطة المحمَّدية للعلماء، 2012م)، ص190.

ضرورية، إذ يتوقف على تحصيل التَّعارف مصلحة ضرورية، وقد يكون حاجيًا، حيث يتوقف على تحقق مصلحة حاجية، وقد يكون تحسينيًّا، إذا كان له أثره في قوام الأمة[1].

والدَّعوة إلى التَّعارف هي حضٌ على طلب العلم في طبائع الآخرين، وعُمرانهم من جهة، وحضٌ على التَّقارب في الالتقاء على المشترك بينهم من جهة أخرى، وإلَّا دبَّ الخلاف والعداء من أول لقاء، والإسلام يدفع أهله إلى تحقيق البلاغ المبين، وهو بلاغ بالقول والحُجَّة والعمل، ثمَّ يترك النَّاس إلى قناعة عقولهم، وانشراح صدورهم، وبهذا يتراجع احتمال الإكراه، بسبب طبيعة الدِّين وخصائصه الذَّاتية، ومقتضى العدل ألَّا يحاسب النَّاس على ما لم يصلهم، فلا إكراه في دين مبنيٍّ على ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، فالتَّعارف لا يكون إلَّا بعد البلاغ[2].

وعليه، فإنَّ قيمة التَّعارف تعدُّ من مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة الكُبرى، أو هي تقع موقع القانون، أو القاعدة في أصول الدِّين الإسلامي؛ فالتَّعارف هو أحد القواعد الاجتماعية الَّتي لا يُختلف على عِظمها، وكونها أصلًا أصيلًا من أصول الإسلام؛ وذلك لأنَّ طبيعة الإعمار الاجتماعي في الدِّين الإسلامي تتمحور حول الفكرة الكاملة عن الوحدة الإنسانية، على اختلاف الأجناس، وتعدُّد الشُّعوب.

---

(1) حايد، فريدة، "**مقصد التَّعارف وأثره في القانون الدُّولي الإسلامي**"، مجلَّة إسلامية المعرفة، س23، ع92، ربيع 2018م، ص120.

(2) ينظر: هاشم، مازن موفق هاشم، **مقاصد الشَّريعة**، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2014م)، ص358.

وقد جاء القرآن الكريم بمبدأ الحوار والتَّعارف والمجادلة بالحسنى، عِوضًا عن السَّيف ابتداءً؛ وذلك لأنَّ الاقتناع فكريًّا يضمن ولاء المقتنع؛ كونه أصبح مؤمنًا بقضية ما، أمَّا الخضوع عن طريق السَّيف والحرب، فهو أمرٌ مؤقت، لا يُضمن استمراريته، وإن كان خضوعًا فهو ظاهريٌّ، لا ينبع من أعماق النَّفس؛ ولهذا كان المنهج القرآني القويم منهجًا حواريًّا منذ البداية، فإذا صار الحقُّ بيّنًا، واستمرت النُّفوس والقلوب في العناد؛ كان اللجوء إلى السَّيف، والأمر في الحقيقة ليس حُبًّا في الحروب، أو رغبةً في الإقناع بلغة السَّيف، بل إنَّه إحقاقٌ للحقِّ، وإنقاذٌ للعباد من التَّمادي في المعاصي وطريق الكفر والضَّلال.

وقد كان هذا هو نهج حضارتنا الإسلاميَّة حين فُتحت الأمصار، وأُنقذ النَّاس من الكفر والضَّلال، ولعلَّ ما يُوجز هذا النَّهج، هي كلمات "ربعيُّ بن عامر" –رحمه الله– في حديثه مع "رُستم" قائد الفرس، حينما سأله عن سبب مجيئه ودعوته، فكان رده: «إنَّ اللَّهَ ابتعثنا، وَجَاء بِنَا لنُخرج مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِة الْعِبَاد إلَى عِبَادِة اللَّهِ، وَمَن ضِيق الدُّنْيَا إلَى سَعَتِهَا، وَمَن جَوْر الْأَدْيَان إلَى عَدْلِ الْإِسْلَام، فَأَرْسَلْنَا بِدَيْنِه إلَى خَلْقِهِ؛ لندعوهم إلَيْه، فَمَنْ قَبِلَ منَّا ذَلِك قَبْلَنَا ذَلِكَ مِنْهُ، وَرَجَعْنَا عَنْه، وَتَرَكْنَاه وَأَرْضَه يَلِيهَا دُونَنَا، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاه أبدًا، حتَّى نَفَضِي إلَى مَوْعُود اللَّه...»[1].

ثانيًا: أهمِّيَّة قيمة التَّعارف

إنَّ التَّعارف من السُّنن الإلهية، والَّتي تكمن أهميته فيما له من أثر فعَّال في إحداث الأُلفة والوئام بين النَّاس شعوبًا وقبائل، بل أفراد كذلك، فالنَّاس خُلقوا من أصل واحد، حيث يعودون جميعًا إلى أبي البشر آدم ﷺ، وقد خلقهم الحقُّ –تعالى– شعوبًا وقبائل مختلفة ومتنوعة؛ ليحصل التَّعارف

(1) ينظر: الطَّبري، محمَّد بن جرير، **تاريخ الطَّبري**، ج3، ص520.

والتَّعاون بينهم، فالإنسان كائن اجتماعيٌّ بطبعه، والحياة مبنية على حاجة الإنسان لأخيه الإنسان، ويتمُّ ذلك بالتَّعاون المتبادل بين النَّاس، ولذا فإنَّ الحقَّ –تعالى– قد جعل من حكمة خلق النَّاس شعوبًا وقبائل أن يتعارفوا[1].

وقد حوَّل المسلمون التَّعارف إلى واقع ملموس، فظهر ذلك في سلوك عملي؛ وذلك لأنَّ الإسلام أقرَّ التَّعارف في طبيعة المجتمعات الإنسانية، فكان التَّعارف هو السبيل الحقيقي للتعريف بالدِّين الإسلامي بصورة صحيحة، كذلك يسهم في تصحيح صورة الثَّقافة الإسلاميَّة فيما يتعلق بالحوار، ونشر ثقافة العدل والسَّلام، والمبادئ الإنسانية للحرية، والعلاقات بين الشُّعوب، في ظلِّ احترام الخصوصيات، سواء كانت روحية، أو ثقافية، أو حضارية[2].

والإسلام هو دين الوحدة الَّتي من مظاهرها وحدة الأصل الَّتي تقرر وحدة الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاس إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاس فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213].

---

(1) أحمد، التَّاج إبراهيم دفع الله، "**حقوق الإنسان في الشَّريعة الإسلاميَّة في ضوء مصدريها القرآن والسُّنَّة**"، مجلَّة التَّربية، ع164، ج1، جامعة الأزهر، كلِّيَّة التَّربية، 2015م، ص448.

(2) عيدان، خلود جبار، "**السِّلم والسَّلام وثقافة الحوار في الإسلام**"، مجلَّة الكلِّيَّة الإسلاميَّة الجامعة، مج9، ع28، الجامعة الإسلاميَّة، 2014م، ص293.

فالاتحاد كان أصل الكون، وهو يعني اتِّحاد النَّاس في غرائزهم واتِّجاهاتهم الإنسانية، فالتَّعارف والاتِّحاد في ذاتهما سببٌ من أسباب الاختلاف؛ وذلك لأنَّ الآحاد يتنازعون استجابةً لغرائز كلِّ واحد منهم، إذ حين يستجيب الفرد لغرائزه فإنَّ إرادته تصطدم مع إرادة الآخر، الَّذي استجاب هو أيضًا لغرائزه، فيكون حينها التَّناحر، حيث تصطدم الشَّهوات، وتتنازع الإرادات، وكلٌّ يحبُّ لنفسه الاستيلاء على أكبر قدر من المطالب، والوصول إلى أقصى ما يجب من الغايات، ولذلك كان لا بدَّ من فاصل يرسم الحدود بين البشر، ويقيد الغايات؛ لتتلاقى في خطٍّ مستقيم، دون انحراف أو تقاطع، بل يكون لكلِّ واحد منهم خطٌّ موازٍ لخطِّ الآخر، وكلُّ الخطوط تتلاقى بما يخدم الجماعة الإنسانية، وبذلك تتحد الغايات والأهداف الواحدة[1].

ومن خلال ذلك تتضح أهمِّيَّة التَّعارف، والَّذي كان سببه الاتِّحاد الغرائزي للناس؛ فكانت سببًا في تفرقتهم، وكان الاختلاف بين النَّاس سبيلًا إلى أمرين، **الأوَّل:** صعوبة التَّفاهم لاختلاف الألسنة، **والثَّاني:** العنصرية المفرقة.

ومن هنا ظهر دور التَّعارف في تحقيق الوئام بين النَّاس، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: 1].

(1) انظر: أبو زهرة، محمَّد، **المجتمع الإنساني في ظلِّ الإسلام**، (جدَّة، الدَّار السُّعوديَّة للنشر والتَّوزيع، 1401هـ) ص46.

وجاء في تفسير القرطبي: "زَجَرَهُمْ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ، وَالتَّكَاثُرِ بِالْأَمْوَالِ، وَالِازْدِرَاءِ بِالْفُقَرَاءِ، فَإِنَّ الْمَدَارَ عَلَى التَّقْوَى. أَيِ الْجَمِيعُ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، إِنَّمَا الْفَضْلُ بِالتَّقْوَى"[1].

وقد جعل الإسلام الاختلاف بين النَّاس للتعارف، وليس للتباغض والتَّنازع، بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فالتَّنوُّع في المخلوقات مدعاة للتعارف والتَّعاون، وللإسلام نظرته الخاصة في الاعتراف بالتَّعدد، فهو من أصل الخلق، لكنَّه لم يطلق العنان للتنوع والتَّعدد إلى درجة التَّشرذم والتَّفرق، وجعل من ذلك الاختلاف والتَّفرق السَّبيل إلى التَّعارف، فالوحدة في الدِّين الإسلامي، لا تعني الأحادية الَّتي تمنع الاختلاف، فالاختلاف هنا اختلاف تنوُّع، لا اختلاف تفرُّق.

وهنا يمكن القول إنَّ الإنسانية –على اختلاف أفرادها– خُلقت للتعارف والتَّعاون والوئام؛ وذلك لأنَّهم يرجعون لأصل واحد وأب واحد، هو سيدنا آدم ﷺ، ولذا فإنَّ الأصل لا يكون سبيلًا للتفاخر والتَّسلط؛ فقيمة الإنسان الحقيقية بالأثر الطَّيب الَّذي تتركه يداه، وعمله الصَّالح، وبهذا تتحقق المساواة في القيمة الإنسانية، والإسلام دين الله –سبحانه وتعالى– الَّذي يقوم على الإيمان، والجدال بالَّتي هي أحسن، فهما سبيل التَّواصل مع الآخرين في ظلِّ ثقافة الانفتاح، وثقافة التَّسامح مع الآخرين، وهو ما يسعى الدِّين الإسلامي لإرسائه وترسيخه.

(1) ينظر: القرطبي، محمَّد بن أحمد (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964م)، ج16، ص341.

ثالثًا: أهداف قيمة التَّعارف:

إنَّ للتعارف أهدافًا يقابلها كثيرٌ من الصُّعوبات، وهذه الأهداف تختلف وتتنوَّع حسب البيئة المكانية، والظُّروف الزَّمانية؛ ونتيجة لهذا التَّنوُّع تظهر الغايات الحقيقية والخفية للتعارف، فقد يكون التَّعارف بغرض تحقيق مصالح ذاتية، وهذا أمرٌ يفرضه التَّنوُّع والتمايز بين النَّاس بعضهم بعضًا، وفيه الخروج عن إشكالية الصِّدام والحوار، فعن طريقه تُصحَّح المفاهيم، وهو السَّبيل إلى معرفة الآخر، والاحترام المتبادل، وبه يُعبَّر عن المفاهيم الخاصة بالحضارة العربية الإسلاميَّة، وبذلك يهدف التَّعارف إلى الآتي:

1. **تحقيق التَّعايش المشترك:** من أهمِّ أهداف المجتمعات البشرية تحقيق الاستقرار والسِّلم الاجتماعي، والَّذي به تدعم أواصر العيش المشتركة بين أبناء المجتمع، على اختلاف معتقداتهم وأفكارهم، والتَّعايش يتحقق بالتَّعارف، فهو البديل عن الصِّراع، وهو لا يحسم الخلافات، بل يزيد من تأجيجها[1].

ولقد أثبت التاريخ أنَّ ما وقع من حروب ضد طوائف دينية معينة لم يؤدِّ ذلك إلى زوالها، وإنَّما كان سببًا في تمسك تلك الطَّوائف بمعتقداتها الخاطئة؛ وعليه فإنَّ الشُّعوب لا تبني حضاراتها

(1) العفراوي، إيمان نعيم شعير محسن، **التَّعايش الحضاري وانعكاساته الاجتماعية والفكرية والثقافية: دراسة في المفهوم والواقع**، مجلَّة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج36، ع3، جامعة البصرة- كلِّيَّة التربية للعلوم الإنسانية، 2011م، ص319.

إلَّا في ظل التَّعايش المشترك بين مختلف الاعتقادات والمذاهب[1]، وهو ما عمل على تحقيقه الإسلام من خلال قيمة التَّعاون.

2. تحقيق التَّعاون:

إنَّ المجتمع لا يكفي فيه التَّعايش فقط، وإنَّما السَّعي إلى إقامة التَّعاون المشترك، فيسعى النَّاس للوصول إلى التَّعايش الإيجابي في إطار المجتمع، على اختلاف مكوِّناته، وبالنَّظر إلى الدِّيانات السَّماوية فإنَّنا نجدها تنطوي على مجموعة مبادئ تدعو للتعاون، إلَّا أنَّ تراجُع القيم الإيمانية والأخلاقيَّة في المجتمعات الحديثة –وفقًا لحسابات المفاهيم المادية– أوجد حالات من الصِّراع، والَّتي انتهت إلى النِّزاعات والحروب بين البشر، من أجل مكاسب مادية؛ فأثَّر ذلك على العالم أجمع، وأدَّى إلى إحداث الخلل والشّقاق بين النَّاس[2].

ولن يتمَّ التَّحرر من تلك الحروب والنزاعات إلَّا من خلال التَّعارف، الَّذي يهدف إلى تحقيق التَّعاون والعمل المشترك، رغم اختلاف الأفكار والمعتقدات، والتَّعاون أصل من أصول الدِّين الإسلامي، ويجب على المؤمن أن يتعاون مع الآخرين من أجل دنياه وآخرته، فالتَّعاون أمر إلهيٌّ، وكلُّ أمر إلهيٍّ يلزم على المسلم العمل به لكونه واجبًا.

---

(1) انظر عزوزي، عبد الحق، **القيم الحضارية والإنسانية المشتركة بين الواقع والمتغير**، (مصر، دار الكتب المصرية، 2008م)، مج2، ص6.

(2) كردي، وليد هاشم، **مقوِّمات التَّعايش السِّلمي في القرآن والسُّنَّة وأثرها في تحقيق الوسطية والاعتدال والسِّلم الأهلي**، مجلَّة جامعة الأنبار للعلوم الإسلاميَّة، مج9، ع37، جامعة الأنبار– كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، 2018م، ص211.

3. التَّعريف بالنَّفس لدى الآخر:

إنَّ التَّعريف بالنَّفس من أهمِّ أهداف التَّعارف وغاياته، خاصَّةً بين ذوي المعتقدات المختلفة، وتزداد أهمِّيَّة الأمر في المجتمعات الَّتي يمثِّل المسلمون بها أقلية، فيبرز –هنا– دور التَّعارف الحقيقي؛ حتَّى لا يُكوِّن عنهم المجتمع أفكارًا غير صحيحة تُسهم في خلق التَّنافر والتَّباعد بين المجتمع وبينهم. فتعريف أصحاب الدِّين أو المعتقد بأنفسهم يجعلهم يطمئنون لفهم الآخر لهم، والتَّعريف بالنَّفس لا يستلزم موافقة الغير في كلِّ ما يعتقد، وإنَّما يكون التَّعريف بالنَّفس لإدراك حقيقتها، وإدراك الغير لحقيقة المعتقد، كما هو قائم، وليس كما يتصوره البعض، والَّذي غالبًا ما يكون نقلًا لصورة غير موضوعية[1].

لذا يمكن القول إنَّ عدم تمكين المجتمع من التَّعريف عن نفسه وعن معتقداته؛ يجعل منه ضحية للتشويه، وعادة ما يجد المخالفون لذلك المجتمع أو معتقده، من عدم قدرته على التَّعريف عن نفسه فرصةً لتشويهه وتشكيل صور عنه لا تطابق حقيقته، ومن الأمثلة على ذلك: ما تعانيه صور الإسلام من التشويه في كثير من وسائل الإعلام الغربية، من الرَّبط بين الإسلام والعنف والإرهاب، والَّتي تستند في ذلك على ما يُنسب لبعض المسلمين، ولو كان ذلك الواقع يخالف ما عليه جموع المسلمين، والَّذين لا يقرون ذلك الوضع، ويعدُّونه منافيًا لمبادئ الدِّين الإسلامي.

---

(1) انظر: عبد العزيز، أمير، **أصول الفقه الإسلامي**، (القاهرة، دار السَّلام للطباعة والنَّشر، 1997م)، ج2، ص505.

وجاء التَّعارف في القرآن الكريم لعدَّة أهدافٍ سامية، ولعلَّ أسماها الدَّعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– وتوحيده، كما جاء للنصح والإرشاد، مع إظهار الشَّفقة والرَّحمة، لذا كان التَّعارف أحد فروع الدَّعوة.

وكان من أهداف التَّعارف –أيضًا– التَّعليم؛ بتعليم الخضوع لأوامر الله سبحانه وتعالى، وآداب تلقِّي العلم، واللوم والتَّأنيب، والتَّهديد والوعيد، وبيان المعجزة، وإظهار الحق والفصل فيه، وإقامة الحجج والأدلة بالبرهان العقلي، والتَّوبيخ والتَّأديب في الإرشاد إلى ما هو حقٌّ وصواب، كما أنَّه جاء دعوةً إلى المولى –عزَّ وجلَّ– بإقامة العدل، والصَّلاح الاجتماعي، والتَّبشير بالخير من عنده –تبارك وتعالى– شفقةً على خلقه، وتأخيرًا لعذابهم؛ لعلَّهم يدخلون في الدِّين الإسلامي، وفيه الدَّعوة إلى الجهاد في سبيل الله، وفيه أيضًا مؤازرة للنبي ﷺ، بالقصص القرآنيَّة الواقعية المبنية على أحد الوسائل الفاعلة دعويًّا، وأحد الأدوات اللغوية القوية[1].

جاء التَّعارف في السُّنَّة النَّبوية مُنصبًّا على الدَّعوة لله –عزَّ وجلَّ–، وما يتعلَّق بالحوار الحضاري من تعليم، وتنظيم المجتمع، فكان الحوار في السُّنَّة النَّبوية تطبيقًا عمليًّا في الدُّنيا، كونها دار العمل للآخرة، وهذا يختلف عن الحوار في القرآن الكريم؛ كونه حوارًا شاملًا منذ بدء الخلق إلى أن تقوم السَّاعة، فكانت حوارات السُّنَّة النَّبوية تأتي مُهتديةً بحوارات القرآن الكريم، فيما يتعلق بالمسائل والآداب والأهداف، فجاء قوله تعالى: ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: 50].

(1) العفراوي، إيمان نعيم شعير محسن، "التَّعايش الحضاري وانعكاساته الاجتماعية والفكرية والثَّقافية"، **مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية**، م36، ع3، ص319.

ويُستخلص ممَّا سبق أنَّ قيمة التَّعارف مقصدٌ من مقاصد الشَّريعة الإسلامية، وقاعدة اجتماعية عظيمة اقتضتها طبيعة العمران في الأرض، بنيت تلك القاعدة على وحدة الإنسانية المختلفة الشُّعوب، مما أدَّى إلى أهمِّيَّة التَّعارف.

رابعًا: قيم التَّعارف في الشَّريعة الإسلاميَّة:

1. قواعد التَّعارف:

من خلال تتبع قيمة التَّعارف في الشَّريعة الإسلاميَّة، يمكن الاهتداء إلى قواعد التَّعارف، والَّتي تتمثَّل في الآتي:

الوحدة الإنسانية، فالنَّاس جميعًا واحد أمام الخالق –سبحانه وتعالى– كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]، فالنَّاس جميعًا متساوون في الخلق والكرامة، والنَّسب، "وَخَلَقَ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ زَوْجَهَا؛ يَعْنِي بِـ «الزَّوْجِ» الثَّاني لَهَا وَهُوَ فِيمَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: امْرَأَتُهَا حَوَّاءُ"[1]، ومع ذلك، فبإرادته –سبحانه وتعالى– جُعِل النَّاس شعوبًا وقبائل لحكمة لا يعلمها إلَّا هو، فالنَّاس مختلفون، ولو شاء العلي القدير لجعلهم أمَّة واحدة.

ويستلزم التَّعارف الالتزام بمبادئ ومقتضيات العدالة والموضوعية، واحترام التَّنوُّع الإنساني، ويدلل التَّتابع في الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...﴾ [الحجرات: 13]، على أنَّه بقدر الاختلافات في هذا التَّنوُّع الإنساني، فإنَّه بإرادة إلهية تتجسد وتعظُم الاستمرارية والوجود لهذا التَّنوُّع،

(1) الطَّبري، محمَّد بن جرير (ت 310 هـ)، **تفسير الطَّبري "جامع البيان عن تأويل آيات القرآن"**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، 2001م)، ج6، ص340.

والهدف من هذا التَّنوُّع هو التَّعارف بين النَّاس؛ تحقيقًا واحترامًا له، ومحافظةً عليه، فتُكمل الآية الكريمة: ﴿... لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وبهذا يكون التَّعارف هو الجسر الرَّابط بين الجماعات المختلفة، وهو الَّذي يقوم بالأساس على المعرفة، ويفترض اختلافنا واختلاف الآخر، بحيث نكون قادرين على إجراء هذا التَّعارف، والدَّعوة القرآنيَّة تأتي للتعرف على الاختلافات والاعتراف بها؛ ابتغاء بناء المجتمع الإنساني الواحد، فالمنهجية السَّليمة في التَّعارف تقتضي الابتعاد عن إطلاق الأحكام مُسبقًا وجُزافًا على نحو من العداء تجاه كلِّ ما هو مجهول ومُبهم لدى الآخر، فمن خلال قيمة التَّعارف، يُتحررُ من الجهل، ويُبتعد عن سوء الظَّن.

2. آداب التَّعارف العامَّة:

جاءت الشَّريعة الإسلاميَّة مُعالجةً لجميع قضايا الفرد والمجتمع، دون تفريطٍ أو إفراط، وسبقت بذلك النَّظريات العلميَّة المعاصرة، والَّتي اهتمَّت بدراسة ظواهر الاجتماع البشري، ومن أمثلتها، نظرية التَّطور الَّتي وضعها "تشارلز داروين" (1809– 1882م) عام 1859م، والَّتي كان نتاجها ظهور المدرسة الداروينية الاجتماعية، كذلك نظرية التَّشكيل الَّتي وضعها "أنتوني جيدنز" (1938م)، والَّتي سعت للتوفيق بين البنية المجتمعية والفعل الإنساني في محاولة لفهم المجتمع الإنساني[1]، فجاءت الشَّريعة الإسلاميَّة سابقةً، شاملةً، وافيةً، لآداب التَّعارف العامة، والَّتي نذكر منها:

(1) الزيباري، طاهر حسو، **النظرية السوسيولوجية المعاصرة** (الأردن: دار البيروني للنشر والتَّوزيع، 2016م)، ص460– 505.

التَّعاون: فمن أهمِّ آداب التَّعارف تحقيق التَّعاون بين الأفراد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]، فكان التَّنظيم الإسلامي للجماعات يقوم على أساس التَّعاون، والَّذي يُعد حجر الأساس للأسرة وقوامها، فالمرأة في الأسرة تتعاون مع الرَّجل لمواجهة شدائد الحياة، وإذا خرجنا من النِّطاق الأسري إلى مجتمع أكبر يتكوَّن من أهل القرية أو المدينة الواحدة[1]، نجد أنَّ التَّعاون هو قوام وأساس التَّرابط فيما بينهم، ومثال على ذلك وصية النَّبيّ ﷺ بضرورة التَّعاون والإحسان إلى الجار، وإذا تجاوزنا نطاق الأسرة والمجتمع الصَّغير إلى مجتمع الأمَّة الأكبر، نجد أنَّ التَّعاون هو الدِّعامة الأساسيَّة لبنيانه، وفيه تتعاون كافَّة الطَّوائف؛ لرِفعة شأن هذا المجتمع، وكلُّ طائفة لها ذاتها القوية، فمهارات الصُّنَّاع قوَّة، ومهارات الزُّرَّاع قوَّة، والعلماء قوَّة، يعملون على إمداد جميع الطَّوائف بالعلم والمعرفة، فنجد التَّعاون والتَّضافر فيما بينهم هو الأساس.

العدالة: من آداب التَّعارف الَّتي أقرَّها الدِّين الإسلامي –والمُتمثل في كتاب الله الكريم، وسُنَّة نبيِّه ﷺ– العدالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ

(1) أبو زهرة، محمَّد، **خاتم النَّبيين صلَّى الله عليه وسلَّم**، (قطر، طُبع على نفقة صاحب السُّمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر، 2008م)، ج2، ص484.

إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135][1].

فالعدالة مبدأ شرعيٌّ، وبها تتحقق مصالح الخلق، وتنتظم الحياة بين النَّاس، رغم اختلاف معتقداتهم، وهي وُجدت حتَّى تستقيم مصالح العباد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، وعلى النَّاس أن يبذلوا ما في وسعهم لتحقيق العدل بين النَّاس، وفقًا لشريعة الله –سبحانه تعالى– وعلى هديه[2].

المساواة: إنَّ المساواة من آداب التَّعارف، وهو مبدأ إسلامي أقره كتاب الله –تعالى– والسُّنَّة النَّبوية المطهَّرة، وقد كانت حياة النَّبيّ ﷺ وأصحابه أكبر مثالٍ على ذلك، عملًا بذلك المبدأ العظيم، فالحاكم هو الله –تعالى–، وكافَّة البشر سواءٌ أمام حكمه، لا فرق بينهم إلَّا بتقوى الله –تعالى–

---

(1) الفرق البلاغي في تقديم قوله تعالى: ﴿**بِالْقِسْطِ**﴾، في آية النِّساء، وتأخيره في آية المائدة، أنَّ السِّياق في آية النِّساء بُني على الأمر بالعدل والقسط، قوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ**﴾ [النِّساء: 76]، وقوله: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النِّساء: 82]، وتوالت الآيات على هذا المعنى، فقدَّم قوله: ﴿**بِالْقِسْطِ**﴾؛ ليُناسب ما ذُكر، أمَّا في آية المائدة، فثبت قبلها الأمر بالطَّهارة، ثمَّ تذكيره –سبحانه وتعالى– بتذكر نعمه، والوقوف مع ما عهد به إلى عباده، والأمر بتقواه، فناسب قوله تعالى: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ**﴾، ثمَّ أتبع بما بُني على ذلك من الشِّهادة بالقسط، فكان من الملائم تأخير قوله: ﴿**بِالْقِسْطِ**﴾ في المائدة، وتقديمه في النِّساء، انسجامًا مع السِّياق في كلٍّ منهما. **انظر:** جلال الدِّين السِّيوطي (ت 911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ)، ج3، ص142.

(2) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418هـ)، ج5، ص309.

والعمل الصَّالح، وهذا يستلزم خشيته –سبحانه وتعالى– وإنفاذ حُكمه على الوجه الَّذي ارتضاه –عزَّ وجلَّ– في كافَّة المجالات، وأمور الدِّين والدُّنيا[1].

منع الضَّرر: كما أنَّ من آداب التَّعارف منع الضَّرر، فيتعين أن يتمَّ منع الضَّرر بكافَّة أشكاله وصوره عن النَّاس، وذلك الضَّرر يُتصور وجوده في كلِّ باب من أبواب المعاملات بين النَّاس، ومنع الضَّرر قاعدة عظيمة النَّفع وكبيرة الفائدة، فلا يجوز للإنسان أن يُلحق ضررًا بنفسه أو بغيره، ولا يجوز كذلك أن تتمَّ مقابلة الضَّرر بضرر مماثل، وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات الَّتي تحثُّ على منع الضَّرر، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطَّلاق: 6][2].

نستخلص ممَّا سبق أنَّ التَّعارف أمر سنَّه الله –تعالى– في خلقه، وجعله ضرورة من ضروريات الحياة، فلا غنى عنه في المجتمع البشري، ولمَّا كان للتعارف من هذه الأهمِّيَّة، ولقيمته ومكانته؛ وجب على المسلم اتِّباع آداب التَّعارف، والتَّخلق بالخلق الإسلامي في التَّعايش، واتبّاع أسسه جميعها.

---

(1) انظر: جمعة، علي، **التَّعايش مع الآخر في ضوء السِّيرة النَّبوية: الأسس والمقاصد**، سلسلة البيان، 2018م، ج2، ص54.

(2) ابن حجر الهيتمي، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد (ت 974هـ)، **الفتاوى الكبرى الفقهية على مذهب الإمام الشَّافعي**، تحقيق: عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2018م)، ج4، ص200.

ولنا أسوة حسنة في أعظم الأمثلة على العدالة كأساس للحوار والتَّعارف، وهو ما تمثَّل في "حلف الفضول" في الجاهلية بين مجموعة العشائر، والَّذي قام نتيجة أنَّ رجلًا من قبيلة "زبيد" باليمن جاء إلى مكة ببضاعة، فقام بشرائها العاص بن وائل السّهمي، وأبى أن يُعطيه حقَّه، فقام الزّبيدي باستدعاء الأحلاف: عبد الدَّار، ومخزوم، وجمح، وسهم، وعدي بن كعب؛ فانتهروه وأبوا أن يعينوه على العاص، فقام الزّبيدي بالصُّعود إلى جبل "أبي قبيس" عند مطلع الشَّمس، ونادى في قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة، فاستصرخهم طالبًا رد مظلمته، فقال[1]:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
هل مخفر من بني سهم يقول لهم ... هل كان فينا حلالا مال معتمر
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغُدَرِ

فقام الزُّبير بن عبد المطلب، فقال: "ما لهذا مترك"؛ فاجتمع بنو هاشم، وزهرة، وبنو تيم بن مرَّة في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا وتعاقدوا بالله في شهر ذي القعدة أن يكونوا يدًا واحدة مع المظلوم على الظَّالم؛ حتَّى يُرد إليه حقُّه، ما بلَّ بحر صوفه، وما بقي جبلا ثبير وحراء مكانهما، وسمِّي هذا الحلف "حلف الفضول"، ومشوا إلى العاص بن وائل وانتزعوا منه بضاعة الزّبيدي ودفعوها إليه، وقال الزُّبير بن عبد المطلب في حلف الفضول:

إِنَّ الفُضُولَ تَعاقَدُوا، وَتَحَالَفُوا ... أَلاَّ يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ
أَمْرٌ عَلَيْه تَعَاقَدُوا وتَوَاثَقُوا ... فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُّ فِيهِم سَالِمُ

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **البداية والنِّهاية**، (بيروت، دار الفكر، 1986م)، ج3، ص457.

وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف، والَّذي به رُفعت منارة الحقِّ، وهُدمت صروح الظُّلم، وهو يعدُّ أوَّل وثيقة لحقوق الإنسان في العرب، وقال فيه رسولنا ﷺ: "لقد شهِدت فِي دَار عبد الله بن جدعَان حلفًا هُوَ أحب إِلَيَّ من حمر النِّعم، وَلَو دعيت إِلَيْهِ الْيَوْم فِي الْإِسْلَام لَأَجَبْت"[1].

وعليه، يُمكننا أن نقول إنَّ الفكرة الأساسيَّة الَّتي قام عليها حلف الفضول؛ هي رد الظُّلم، مهما كان للظالم من شأن عظيم، ومهما كان المظلوم مُعترًا أو مُستضعفًا، فكان العرب في الجاهلية سبَّاقين إلى الحوار الَّذي يُحافظ على السِّلم الاجتماعي، ويعمل على ردِّ الحقوق إلى أصحابها، ومُعاقبة الفاسدين، وهذا ما يجب أن يكون عليه منهج الحوار.

3. معوِّقات التَّعارف:

يعدُّ الدِّين هو الجوهر لجميع الحضارات، ويمثل العائق العقدي أحد أهم معوِّقات التَّعارف، فمن الخطأ الارتباط بمعتقد ما بشكل عاطفي بدعوى الدِّين، ثمَّ الخروج عن هذا الارتباط؛ فهذا مؤداه تضييق المساحة العقلية وعدم مواجهة الأمور بشكل موضوعي، فالغاية من التَّعارف هي إقناع أهل الكفر بالإيمان، وذلك استنادًا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6]، فقد أمرنا –سبحانه وتعالى– بإقناع أهل الكفر وإقامة الحُجَّة عليهم بالحسنى؛ لتخوفهم من الإسلام، فإذا عرفوه اختاروه.

(1) ابن سعد (ت 230هـ)، **الطَّبقات الكبرى**، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م)، ج1، ص129.

كذلك الغاية من التَّعارف هو التَّطلع لمعرفة القواسم الحضاريَّة المشتركة؛ رفضًا للظلم، وطلبًا للحرية والعدل، وبُعدًا عن الرَّذائل، والاستغلال، والاستبداد، لذا فإنَّ التَّضخيم الحضاري للذات، والادِّعاء بتفوق حضارة عن أخرى؛ يؤدِّي إلى تبنِّي نظريات الصِّراع والصِّدام الحضاري لدى البعض، ممَّا يمثِّل عائقًا كبيرًا أمام عملية التَّعارف، ويمكن سرد بعض معوِّقات التَّعارف الأخرى على هيئة نقاط، كالآتي:

- **تلقِّي المعلومات بطُرق غير مباشرة:** من معوِّقات التَّعارف ما يُسمع عن الآخرين أكثر ممَّا يُسمع منهم، فالسَّماع المباشر أولى من المعلومات غير المباشرة الَّتي يتناقلها الأفراد، والَّتي تحتاج إلى التَّثبت والتَّحري، وهو ما يميز أهل السُّنَّة، وقد حذَّر القرآن الكريم المسلمين من إشاعة الخبر الكاذب، ودعا إلى التَّبين والتَّأني والتَّثبت، وتأكُّد السَّامع ممَّا سمع، وحذَّر من المسارعة إلى تصديق كلِّ ما يُقال، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6].

وقد مارس كفَّار مكَّة أساليب عديدة لتشويه شخصية ورسالة النَّبيّ محمَّد ﷺ، منها الشَّائعات، فقد أشاعت قريش أنَّ النَّبيَّ ﷺ مفترٍ كاذب، وساحر، وأنَّ ما يتلوه من كتاب الله ما هو إلَّا أضغاث أحلام يفتريها؛ لأنَّه شاعر مجنون، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلونَ﴾ [الأنبياء: 5].

- **التَّعارف قد يكون وسيلة للركون إلى الظَّالمين:** فمن المعوِّقات كذلك سعي أعداء الإسلام والمسلمين إلى استغلال المسلمين للوقوف في وجه انتشار الإسلام، والسعي جاهدين لخطف البريق الإسلامي عن طريق فتن أصحابه وصرفهم عن الدِّين الإسلامي، وزرع العداوة والفتنة

في قلوبهم، ولا شكَّ أنَّ المسلم الصَّادق حين يتلاقى مع الآخرين من ذوي الضلالة، سرعان ما ينفر منهم[1]، وذلك مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 73– 75].

فأصحاب المعتقدات الأخرى يريدون تشكيل أفكار المسلمين كما يريدون؛ ففي الغرب يُقال: نُريد إسلامًا مستنيرًا، أو إسلامًا مرنًا، وقد نهى النَّبيّ ﷺ عن التَّلون في الدِّين، وحذَّر من هذا المسلك الرَّديء والخُلق الوضيع في أحاديث كثيرة، وبيَّن أنَّ أصحاب هذه الخصلة القبيحة هم شرُّ النَّاس، فقال ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»، وقال ﷺ: «وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاس ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ»[2]، كما نهى السَّلف الصَّالح – رضوان الله عليهم– عن هذا الخُلق، فجاء في نصيحة حذيفة ﷺ لبعض جلسائه: «فَاعْلَمْ أَنَّ الضَّلَالَة حَقّ الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْت تُنْكِرُ، وَأَن تُنْكِر مَا كُنْت تَعْرِفُ، وَإِيَّاك وَالتَّلَوُّنِ فِي دَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ»[3].

وقد أنذر الله –تعالى– من عاقبة التَّلون في الدِّين، فقال تعالى: ﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 75]، فبعض النَّاس يغترُّ عندما يقابلهم

---

(1) انظر: حايد، فريدة، **مقصد التَّعارف وأثره في القانون الدُّولي الإسلامي**، ص135.

(2) رواه البخاري في صحيحه، **كتاب المناقب**، باب قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: 13]، ج4، ص178، ح (3493).

(3) رواه أحمد في المسند، **مسند المكثرين من الصحابة**، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ج11، ص54، ح (6508)، حكم الألباني: صحيح، رجاله ثقات.

الآخرون بمعسول الكلام وبشاشة الوجه؛ فيصيبون هواهم، ويكون ذلك السَّبيل لضلالهم، قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9][1].

ومن أهمِّ أسلحة العلمانية الفتّاكة، استغلال البعض من المسلمين وإغواؤهم تحت شعارات العدل والمساواة والحرية والتقدَّم، فمُحال أن يستمر الإسلام بمفاهيم البادية نفسها وتطبيقها في هذا العصر الحديث المزدهر، ولكن تروج لهذه الافتراءات أبواق الإعلام المضلل من خلال بعض الإعلاميين المداهنين للغرب؛ طمعًا في رفاهية الحياة والتَّملق والشُّهرة، ولانبهارهم بحياة الغرب، فيصبح التَّركيز الأوَّل أنَّ الإسلام عدو التقدَّم وعدو السَّلام، ولا بدَّ لنا من تصحيح المفاهيم لنواكب العصر الحديث.

خامسًا: أثر التَّعارف في التَّواصل الحضاري وضوابطه في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة.

إنَّ للتعارف ثمرات عظيمة، فبه يتحقق التَّواصل الحضاري بين المسلمين وغيرهم، دلَّ على ذلك قول النَّبيّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَأْلَفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ»[2]، فَمِن مقاصد التَّعارف: التَّكامل بين النَّاس، والتَّعاون من أجل تحقيق أهدافهم المشتركة، سواء على مستوى الأفراد كآحاد، أو على مستوى الدَّولة والمجتمع؛ تحقيقًا للمصلحة العامة.

---

(1) الغزالي، محمَّد بن محمَّد الطُّوسي، **الوسيط في المذهب**، تحقيق: أبو عمرو الحسيني بن عمرو بن عبد الرَّحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2014م)، ج1، ص4.

(2) رواه أحمد، **مُسْنَدُ بَاقِي الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ**، مُسْنَدُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج3، ص43، ح (1430)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة، حديث (425).

يتَّضح ذلك من سيرة النَّبيّ ﷺ؛ إذ إنَّ أوَّل دعوة أشاعها ﷺ هي إفشاء السَّلام بين المسلمين، وكانت ثمرة التَّعارف بين المهاجرين والأنصار أن آخى ﷺ بينهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ، إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلام بَيْنَكُمْ»[1].

فنصوص الشَّريعة الإسلاميَّة غايتها بناء الإنسان بشكلٍ يسمو به إلى بلوغ أعلى درجات الرُّقي والفضيلة، فنهى الله –سبحانه تعالى– عن تعاطي جميع أوبئة الرَّذيلة الَّتي تمَّ ربطها بحقوق الإنسان من قِبل بعضِ المتحللين من قيم الدِّين، بما لا يرقى إلى ما ارتضاه الله –سبحانه وتعالى–، باستثناء ما تتحكم فيه التَّعاليم الدِّينية، فتطهره من الخبائث، وبه يُهتدى إلى سواء السَّبيل، من الدِّين الحنيف، الَّذي يعمل على تهذيب النَّفس، واستقامة الفكر، فيكون العدل شعارًا، والتَّسامح ميزةً، والتَّقوى محجةً، والدِّين دثارًا[2]، وهو الأمر الَّذي أمر الله تعالى به، فكان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: 90 – 91].

---

(1) أخرجه مسلم، **كتاب الإيمان**، باب بيان أنَّه لا يدخل الجنَّة إلَّا المؤمنون، وأنَّ محبة المؤمنين من الإيمان، وأنَّ إفشاء السَّلام سببٌ لحصولها، (1/ 74)، ح (54).

(2) انظر: أبو سيف، ليندا نعيم، **منهج النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم في الدَّعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء: دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير، منشورة، الأردن، جامعة آل البيت، 2012م، ص21.

وعليه، فإنَّ الحُجَّة القائلة: "إنَّ الحضارات تعرف بعضها البعض"، تستحق اهتمامنا لمناقشتها وإثرائها بأنَّه قول عربيٌّ إسلاميٌّ تتكوَّن من خلاله الهوية والثَّقافة الإسلامية الأصيلة، حيث يحتوي الخطاب الموجه في الشَّريعة الإسلاميَّة وفي الحضارة الإنسانية على معالجة المشكلات الإنسانية المتعلِّقة بجوهر الوجود الإنساني في هذا الكون، ومعالجة المفاهيم المتعلِّقة برؤية المسلمين والعرب لأنفسهم، وتصور الآخر لهم، بل والتَّعرف عليهم.

ولم يكن للنبي ﷺ ما نعرفه اليوم من إجراءاتٍ معقدة لبدء التَّعارف أو الحوار، فقد كان ﷺ حواره يأتي يسيرًا، مبنيًّا على الرَّحمة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وعلى اختلاف العقائد والمذاهب كانت وسيلته للتعارف هي الحوار المبني على الحُجَّة والبرهان، فقد كان حواره موجَّهًا للجميع، حتَّى إنَّه حاور الملوك والأمراء، والكفار، واليهود، والنَّصارى، فكان أساس التَّعارف عنده ﷺ الدَّعوة إلى الله وتوحيده، والإخبار عن دينه، تثبيتًا للعقيدة.

ولقد سجَّلت كتب السِّيرة النَّبوية المطهرة، المنهج النَّبوي التَّربويّ للدعوة، في الهداية، والبناء، والوعظ، والإرشاد، وذلك باللين، والرَّغبة في منفعة العباد في الدِّين والدَّنيا، والدَّليل على ذلك، حينما ننظر بعين الفاحص المدقق لصحيح البخاري، فنجد المائة حديثٍ الأولى تشتمل على خمسةٍ وثلاثين حوارًا، منها ما هو بين النَّبيّ ﷺ وصحابته في أمور الدِّين والعقيدة، ومنها ما هو بين الصَّحابة – رضوان الله عليهم– بعضهم بعضًا، ومنها –أيضًا– ما كان بين أبي سفيان وهرقل الرُّوم من إقرار

هرقل بأنَّه –عليه الصَّلاة والسَّلام– نبي آخر الزَّمان، ونجد فيها –أيضًا– حوار جبريل ﷺ مع النَّبيّ ﷺ، حينما أتى ليعلِّم النَّاس أمور الدِّين[1].

ويذكر الطَّبري أنَّ دعوته ﷺ في الحوار والتَّعارف لم تقتصر على قريش فقط، بل كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب؛ لدعوتهم إلى الله ونصرته، ويُعلمهم بأنَّه نبيٌّ مُرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه؛ حتَّى يُبيّن ويوضح لهم ما بُعث به من الله –عزَّ وجلَّ–، ثمَّ كان بعد ذلك خروجه ﷺ إلى قبائل كندة، وكلب، وبني حنيفة، وبني عامر بن صعصعة، إلى أن قدَّر الله –سبحانه وتعالى– لنبيه ﷺ لقاء نفرٍ من أهل المدينة عند العقبة، فكانت بداية الحوارات الخاصَّة بهجرته المباركة ﷺ[2].

ومن ذلك يتَّضح جليًّا منهج النَّبيّ ﷺ في التَّعارف، إذ كان الحوار هو وسيلته الفُضلى، فكان بذلك منهجًا للدعوة إلى الله –تعالى– بالحُسنى، بعيدًا عن الحرب والسَّيف، فقد رفض النَّبيّ إعطاء الإذن لصحابته بالقتال، وحثَّهم على الصَّبر، كذلك عند هجرة النَّبيّ ﷺ عقِب بيعة العقبة الثَّانية، رفض النَّبيّ مُبادرة الأنصار لحرب أهل مكة؛ فكان لذلك أثرٌ طيِّبٌ في إسلام النَّاس، بدون إجبار أحدٍ على ترك دينه، والدُّخول في الدِّين الإسلامي.

وقد كان المجتمع المكِّيُّ في بداية نبوَّة النَّبيّ ﷺ في حاجة كبيرة إلى داعية على قدرٍ كبيرٍ من الخبرة بالنَّاس والمكان، فكانت دعوته ﷺ للأقربين في البداية؛ فآمنت به زوجته خديجة رضي الله عنها، وتلاها أبو بكر الصِّديق، ثمَّ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولكنَّه –عليه الصَّلاة

---

(1) ابن هشام، أبو محمَّد، جمال الدِّين (ت 213هـ)، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955م)، ج1، ص305، 397، ج2، ص19، 363.

(2) الطَّبري، **تاريخ الطَّبري**، ج2، ص 348.

والسَّلام– كان يحتاج لبذل جُهدٍ عظيم في دعوة كبار وأشراف رجال مكَّة، وكان أوَّلهم عمُّه أبو طالب، الَّذي كان رفيقًا بابن أخيه، وذلك الجهد العظيم تمثل في منهج حواريٍّ يقوم على أدب الحوار الجميل.

ثمَّ كان الأمر للرسول الكريم من ربِّ العزَّة –سبحانه وتعالى– بالصُّدوع بما أمره به، وإظهار الدَّعوة علانية للناس، بعدما كان قد أخفاها ﷺ لمدة ثلاث سنين، وجاء الأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعراء: 214 – 215]؛ فخرج النَّبيّ ﷺ إلى قومه معلنًا دعوته، فكثُر مُعتنقوها على الملأ، وانتشرت الأخبار عن الإسلام خارج مكَّة، عن طريق ما وفد إليها للحج والعمرة والتِّجارة[1].

ومن مظاهر استمرار قريش في تحدِّي النَّبيّ ﷺ، وطُرقهم الإغرائية في استمالة عامة النَّاس ما جاء من قول مُجاهد وعكرمة وعُروة بن الزُّبير والسُّدِّي وقتادة: جَاء أُبيٌّ بْنُ خَلَف إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي يَدِهِ عَظْم رَمِيمٌ، وَهُو يَفُتُه ويذروه فِي الْهَوَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا محمَّد، أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا؟ فَقَالَ: «نَعَم، يُميتك اللَّهُ تَعَالَى، ثُمّ يَبْعَثُك، ثُمّ يحشرك إِلَى النَّارِ»[2]، فنزلت الآيات الكريمة من أواخر سورة "يس": ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 77]، فكان في هذا الحوار مُعجزة لرسول الله ﷺ، بتوعد الله –تعالى– أُبيًّا بالنَّار؛ فمات كافرًا، وصدقت نبوءته عليه الصَّلاة والسَّلام.

---

(1) ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، ج1، ص263.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، ج6، ص593.

وقد كان نشر دعوة الإسلام خارج مكَّة المكرمة هو ما يتطلع إليه النَّبيُّ ﷺ، فسلك ﷺ سبل عديدة ليتمَّ له ذلك، منها: أنَّه كان يعرض نفسه على القبائل في موسم الحجِّ، قال الطَّبري: "لمَّا قدم أبو الحيسر أنس بن رافع إلى مكَّة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم، وجلس إليهم، فقال لهم: «هل لكم إلى خيرٍ ممَّا جئتم له؟» قالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل عليَّ الكتاب»، ثمَّ ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ –وكان غلامًا حدثًا–: أي قوم؛ هذا والله خيرٌ ممَّا جئتم له، قال: فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بُعاث، بين الأوس والخزرج"[1].

فكان هذا الحوار الكريم تعزيزًا لمنهج التَّعارف والحوار مع وفود مكَّة، والَّذي بيَّن فيه ﷺ حقيقة دعوته إلى الله تعالى، وكان فيه من حلاوة الأسلوب وفصاحته ما يشقُّ طريقه إلى القلوب، وفيه من الأساليب ما يحثُّ على نقل الدَّعوة إلى خارج مكَّة المكرمة، فاللين والرِّفق في المعاملة يرقق القلوب، وهذه الصِّفات من أهمِّ صفات الدَّاعية إلى الله، فالكلمة الطَّيبة صدقة، والتَّبسم في وجه أخيك صدقة، ودين الإسلام لم ينتشر بحدِّ السَّيف وسفك الدِّماء كما يزعم أعداء الدِّين، ولكنَّه انتشر بالرَّحمة والإنسانية، ولم يُرغم أحدٌ من أهل الكتاب أو المشركين على الدُّخول في الدِّين كرهًا، ولكنَّهم

(1) الطَّبري، **تاريخ الطَّبري**، ج2، ص352– 354.

خُيِّروا بين الدُّخول فيه وبين دفع الجزية ولهم الأمن والأمان داخل بلاد الإسلام والحماية الكاملة والمعاملة بالمعروف.

وليس المقصود باللين عدم إنكار المنكر؛ وإنَّما اللين في الأسلوب حيث يغني اللين ويحقق الغرض، وذلك باستنفاذ جميع الوسائل الممكنة الَّتي تضمن الاستجابة، وعدم الاعتداء على الآخرين ظلمًا، فهكذا انتشر الإسلام.

المبحث الثَّاني: مفهوم وقواعد وآداب الحوار وأثره في التَّواصل الحضاري.

أوَّلًا: مفهوم الحوار، والحوار الحضاري:

في اللغة: أساس مادة حوار (حَ. وْ. ر)، مفتوح الأوَّل، ساكن الوسط، لها عدَّة معانٍ منها: العودة عن الشَّيء وإلى الشَّيء، ويقال: تَحَور، وحَارَت، وحَارَ صَاحِبُها، وكُلُّ أَمْرٍ تَحَوَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَقَدْ حَارَ، يَحُورُ، حَوارًا[1].

وجاء في لسان العرب: الحَورُ هو الرُّجوع عَنِ الشَّيء، وإِلَى الشَّيءِ، والمُحَاوَرَةُ هِي: المجَاوَبَة، والاسْمُ منَ المُحَاوَرة، الحُوَير، والتَّحاور: هو التَّجَاوب، فيقالُ: أَحَرتُ لَهُ جَوابًا، ومَا أَحَارَ بكَلِمَةٍ، وكَلَمَّتْه فَمَا رَدَّ إِلَيَّ حَورًا، أو حُويرًا، أَي: مَا رَدَّ عَليَّ بِجَوابٍ، أمَّا اسْتَحَاره: فتَعْنِي اسْتَنْطَقَه، والمُحَاوَرَةُ هي: مُرَاجَعَة المَنْطِقِ فِي المُخَاطَبَةِ، فيقالُ: وهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، أَي: يَتَرَاجَعُون الكَلَامَ[2].

أمَّا عن التَّعريف الاصطلاحي للحوار: فهو أسلوب وأداة خطابية، وللحوار خصوصية مميزة ينفرد بها عن باقي أساليب وأدوات الخطاب الأخرى، وقد وسَّع بعض الباحثين في تعريفه للحوار، وهو المراددة في الكلام[3].

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السَّامرائي، (مصر، دار ومكتبة الهلال، د، ت)، ج3، ص287.

(2) ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص217، مادة (حور).

(3) المناوي، محمَّد عبد الرَّؤوف، **التَّوقيف على مهمات التَّعاريف**، تحقيق: محمَّد رضوان الداية، (بيروت، دار الفكر، 1410ه)، ج1، ص300.

وفي اصطلاح العلماء: هو صنفٌ من الحديث بين شخصين، يتمُّ فيه تبادل الكلام بينهما بشكل ما، فلا يستثني أحدهما دون الآخر، ويهيمن عليه الهدوء والسَّكينة، والبعد عن التَّنافس والتَّعصب، وقيل: هو نقاش بين طرفين، أو عدَّة أطراف، ويقصد به: تصويب الكلام، وإثبات الأدلة، وصرف الرَّيبة، ونبذ المفسد من القول والرَّأي[1].

وقد ضيَّق البعض من تعريف الحوار، فقال عنه محمَّد الكتاني إنَّه: سلوك حضاري مبنيٌّ على منظومة من القيم الكونية، كالقبول بالتَّعددية والاختلاف، واعتبار التَّعايش بين الأمم والشُّعوب، والتَّعاون فيما بينها؛ لرفع تحدِّيات الفقر والأوبئة وتلوث البيئة ونضوب المياه[2]، وقد ذهب بعض الباحثين إلى إبراز خصائص الحوار وبيان أهدافه، ومن ذلك: تعريف عبد السَّتار الهيتي:" هو أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كلٌّ منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطَّرف الآخر في منطقه وفكره؛ قاصدًا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره"[3].

وممَّا تقدَّم يمكن القول بأنَّ الحوار هو محادثة بين شخصين أو طرفين أو أكثر، ويعني المراجعة في الكلام، وهو ضرب من الأدب الرَّفيع وأسلوب من أساليبه، وهو يمثِّل موقفًا لشخص أو طرف معين في علاقته مع شخص آخر أو طرف آخر؛ حتَّى يتمكَّن هذا الطَّرف من القيام بعرض ما يراه أو يقتنع به وفقًا لمتطلبات الحوار، وهذا الموقف مرادف كذلك للاستعداد والقابلية للإصغاء

---

(1) بن حميد، صالح بن عبد الله، **معالم في منهج الدَّعوة**، (جدَّة: دار الأندلس الخضراء، 1999)، ص212.

(2) الكتاني، محمَّد، **ثقافة الحوار في الإسلام من التَّأسيس إلى التَّأصيل**، (الدَّار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، مطبعة النَّجاح، 2007م)، ص5.

(3) الهيتي، عبد السَّتار، **الحوار الذَّات والآخر**، كتاب الأمة، ع99، قطر، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، 1425هـ، ص40.

وتقبُّل الآخر، وذلك بالاستماع المتبادل، والَّذي يفضي في نهاية الأمر إلى تبادل المواقف والآراء بين الأطراف.

إنَّ مفهوم الحوار الحضاري من المفاهيم الإسلاميَّة؛ وذلك لأنَّ الغاية من خلق النَّاس شعوبًا وقبائل هي التَّعارف والتَّفاعل والحوار، فالأصل في الحضارات في الرُّؤية الإسلاميَّة هو الحوار، لا الصِّراع، وكلُّ طرف عليه أن يلتزم بآداب الحوار وشروطه، وعليه أن يحترم الطَّرف الآخر، ويقدر مرجعية الحوار وخصوصيته الثَّقافية، وعليه، فإنَّ الإسلام قد أرسى أسس الحوار الحضاري، وعزَّزه، على مدار التَّاريخ الإسلامي[1].

ويمكن **تعريف الحوار الحضاري** بأنَّه: هو محادثة بين أمَّتين أو أكثر، يتبادلان خلالها الآراء والأفكار والمشاعر ووجهات النَّظر؛ من أجل الفهم والتَّفاهم وتحقيق الانسجام والتَّعايش لتحقيق أهداف نافعة للمجتمع.

أمَّا عن **الثَّقافة** فيمكن تعريفها بأنَّها: مجموعة أنماط السُّلوك السَّائدة في المجتمعات البشرية، وتشمل المعتقدات، والمبادئ الأخلاقيَّة، واللغة ووسائل انتقالها، باعتبارها تُراثًا اجتماعيًّا للأجيال القادمة.

ويعدُّ الحوار أحد أهم وسائل التَّعارف بين الشُّعوب، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

(1) ديماس، محمَّد راشد، **فنون الحوار والإقناع**، (مصر، دار الشُّروق، 1999م)، ص11.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، يقول السِّيوطي: "الشُّعوب الْجِمَاع والقبائل الأفخاذ الَّتي يَتَعَارَفُونَ بهَا، والشّعب هُوَ النّسَب الْبعيد"[1].

فهذا التَّعارف لن يتحقق إلَّا عن طريق الحوار، وهو ما يُعرف الآن بالحوار الدَّاخلي، الَّذي يُقام بين أبناء الأمَّة الواحدة والمجتمع الواحد، ومثاله: حوارات المثقفين، والسِّياسيين، والاقتصاديين، وحوار الأديان، والحضارات، والثَّقافات، وهو ما يظهر في أكثر من صورة، كالحوار المباشر، أو الكتابات، وخلافه.

وكان النَّبيّ ﷺ لا يدع مجالًا لخلافٍ أو خصومة بينه وبين أحدٍ من النَّاس أو الصَّحابة رضوان الله عليهم، بل كان دومًا مُسارعًا إلى إطفاء نيران الفتنة المتأججة، فكان يحثُّ على إفشاءِ السَّلام، ويُحرّم الهجر فوق ثلاثٍ، ويجعل خير المتخاصمين من يبدأ بالسَّلام، لا سيما وهو القائل ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ دَرَجَةِ الصِّيَامِ، وَالصَّلَاة، وَالصَّدَقَة؟» قَالُوا: بَلَى، قَال: «صَلَاح ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ، هِيَ الْحَالِقَةُ»، ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال: «هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّين»[2].

والخلاصة، أنَّ عملية الحوار لا تتوقف فقط عند إدارة فكرة بين طرفين مختلفين أو متنازعين على أساس حجج واضحة وأدلة قاطعة لمعرفة الحقيقة، ومن ثمَّ التَّعرف عليها، بل إنَّ معنى الحوار

---

(1) جلال الدِّين السِّيوطي، **الدُّر المنثور في التَّفسير بالمأثور**، (بيروت، دار الفكر العربي، د، ت)، ج7، ص578.

(2) رواه أبو داود، **في كتاب الأدب**، باب في إصلاح ذات البين، ج4، ص280، ح (4919)، حكم الألباني: صحيح.

أوسع وأكمل ويتَّسع ليشمل كلَّ المعاني المترادفة ويتجاوزها بأهدافه وغاياته السَّامية، فالحوار يبحث عن الحقيقة لتحقيقها، دون الكذب، ودون التَّمسك برأي، أو تعصب لعقيدة، أو الاستسلام للأهواء.

ثانيًا: قواعد الحوار:

شرع المولى –عزَّ وجلَّ– التَّعارف والحوار، كونه وسيلة مُثلى في الدَّعوة إليه، وكانت دعوته –سبحانه وتعالى– للبشر على اختلافهم وتنوعهم، فأراد الله لهم منهجًا واحدًا ذا أصول محددة وهو منهجُ عبادته –عزَّ وجلَّ–؛ لهذا كان إرسال الرُّسل، ونزول الكتب، وجُعل القرآن الكريم هو آخرها والمهيمنُ عليها ورسالته –تعالى– الأخيرة للعالمين، على لسان رسوله الكريم ﷺ، فكان تشريع التَّعارف للناس في كتاب الله، ووسيلته الأولى الحوار؛ لتوضيح المواقف، وجلاء الحقائق، واستجاشة الضَّمير، بما يؤدِّي إلى حُسن التَّلقي، والاستجابة المتدرجة بالحُجَّة والبُرهان، فكان هذا دليلًا دامغًا على احترام وعلو شأن كرامة الإنسان وعقله، بأن يكون مُقتنعًا بناءً على نور وبيِّنة.

وكان الحوار في القرآن الكريم مواكبًا ومناسبًا لظروف الدَّعوة النَّبوية الشَّريفة، سواء في مكَّة المكرَّمة أو المدنية المنوَّرة، ففي مكة، كان الحوار الدَّعوي مُناسبًا للطابع الفردي والقبلي فيها، وفي المدينة، كان الأمر يمثِّل حوارًا للحضارات؛ حيث اتَّسعت الدَّعوة ومجالاتها، وتنوَّعت محاورها في تأسيس الدَّولة الإسلاميَّة، فكانت حوارات المرحلتين المكِّية والمدنية تمثِّل إعجازًا قرآنيًّا مُتجددًا، لا ينضب[1].

(1) انظر المعايطة، قيس سالم، **ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي**، (المجلَّة الأردنية في الدِّراسات الإسلاميَّة، مج3، ع1، 2007م)، ص164.

وانتشر الدِّين الإسلامي الحنيف بواسطة الحوار الحضاري، وهو بذلك يحتل موقعًا متميزًا في العطاء الحضاري الإنساني والعالمي، فالإسلام أرسى دعائم حضارة تعايشت فيها مختلف الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات والثَّقافات، والحوار بين الحضارات في عالمنا الحالي يمثل ضرورةً ملحة للحياة؛ لعالمٍ آمن ومستقر، وهو أمرٌ ضروري في المساحات المعرفية، وللحوار قواعد منهجية يتعين الالتزام بها، ومن أهمها:

الاستناد إلى منهج الدَّليل والبُرهان: فيلزم في التَّحاور أن يُنبذ الاتِّهام والتَّشنيع بكافَّة مستوياته، فالمنهجية السَّلمية تقتضي عدم إطلاق الأحكام على بعضنا البعض جُزافًا، وإنَّما يلزم استباقُ التَّحاور بالتَّعرف على الآخر، وهو أمرٌ مرَّده في النِّهاية إلى التَّفاهم القائم على العلم والوعي، وفي ضوء ذلك الوعي تزول الانقسامات والشَّوائب والرَّواسب الَّتي تضرُّ بشكل أو بآخر[1].

وقد أرسى القرآن الكريم من خلال آياته البيِّنات دعائم وأخلاقيات الحوار، فتمَّ عرض العديد من صور الحوار في القرآن الكريم، ومن ذلك الحوار مع "إبليس"، وأيضًا الحوار مع "الملائكة"، وذلك ما يدفع بالاعتقاد إلى أنَّ الحوار في كافة القضايا العقدية، والثَّقافية، والاجتماعية، والسِّياسية أمرٌ متاحٌ، ولا توجد موانع للحوار مع مختلف الأفكار والقناعات والتَّعبيرات، فالحوار كمقصد ومبدأ وممارسة لا يُعدُّ موقفًا تكتيكيًّا ومرحليًّا في حياة الإنسان المسلم، بل هو خيارٌ في الحياة، ووسيلةٌ للتواصل مع الآخرين، وسبيلٌ إلى الدَّعوة والإقناع[2].

---

(1) بوفلاقة، محمَّد سيف الإسلام، **حوار الحضارات في منظور الثقافة الإسلاميَّة**، مجلَّة مقاربات فلسفية، مج8، ع1، الجزائر، جامعة عنابة، 2021م، ص155، 106.

(2) الزحيلي، **التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج**، ج5، ص309– 311.

الالتزام بالعدالة والموضوعية: فالعدالة والموضوعية يُخرجان الحوار من جانبه الجدلي، والَّذي لا يستهدف أطرافه الوصول إلى الحقيقة؛ فكلُّ طرف يظنُّ نفسه أنَّه ينتصر للحقيقة ويستهدفها، وهو لا يمكن أن يحيد عن الحقيقة الَّتي يراها، وغير مهيَّأ نفسيًّا لقبول غير ما يتصور، وإنَّما يستهدف النَّيل من الآخر، وهو أمر ينافي قواعد الإسلام[1]، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: 33 – 35].

ثالثًا: آداب الحوار العامَّة:

لا بدَّ لكل عملٍ جادٍ من آدابٍ تحكمه؛ حتَّى يكون في إطار ما رُسِمَ له من غايات، ولا ينحرف عن مقاصده المرجوة، وافتقاد الحوار لتلك الآداب قد يؤدِّي إلى أخطاء كبيرة، تجعل من البعض يشكُّ في نوايا هذا الحوار، وفي نوايا القائمين عليه كذلك، ومن أهمِّ تلك الآداب، ما يلي:

- **أن يتصدَّى للحوار من هو أهل له:** فلا يمكن أن يستقيم الحوار بين الأديان بدون احترام ذلك الضَّابط، وكيف يتحاور عن الدِّين من هو جاهل به؟ ولذا فإنَّ من ضوابط الحوار: إذا دُعي من هو غير أهل للحوار أن يعتذر عنه، وأن يُسند الأمر إلى أهله، كما أنَّه من مسؤولية وأمانة

(1) بخيت، محمَّد حسن، **أدب الحوار**، مؤتمر الدَّعوة الإسلاميَّة ومتغيرات العصر، كلِّيَّة أصول الدِّين، الجامعة الإسلاميَّة بغزَّة، في الفترة 16– 17 أبريل، 2005م، ص58.

الجهات الدَّاعية للحوار ألَّا تدعو للحوار من هو غير مؤهل لذلك، فلا يُسأل من يمتهن الطِّب عن الدِّين[1].

- **أن يتمَّ تحديد مضمونه وأساليبه:** فالحوار عمل جماعيٌّ يلتقي فيه أطراف متعدِّدون لبحث القضايا الَّتي يريدون التَّحاور فيها، وحتَّى تكون كافَّة الأطراف المتحاورة على قدم المساواة، لا بدَّ أن يكون لكلِّ طرف منها رأيه وكلمته في تحديد طبيعة الحوار المرجو إقامته[2].
- **أن يستهدف الحوار تحقيق التَّعاون:** إنَّ الحوار يقوم حول القضايا ذات الاهتمامات المشتركة، وعلى المتحاورين أن يجتهدوا في إقامة مشروعات تعاون حول المسائل الَّتي تُطرح في الواقع وتحتاج إلى جهود مشتركة للدفاع عن قيم معينة في المجتمع أو المطالبة باحترام مبادئ عامة يلتقي عليها أصحاب الدِّيانات، ومن ذلك مثلًا: الدِّفاع عن مكانة القيم الأخلاقيَّة في ظلِّ المجتمعات المعاصرة، وحماية حرية التَّدين أمام الَّتيارات الَّتي تريد الحدَّ منها، والدِّفاع عن كيان الأسرة وما يهدِّدها من اتِّجاهات تسعى إلى تهميش دورها.
- **أن تُحترم عقيدة الآخر:** وهو أهمُّ ضوابط الحوار الَّتي تساعد على نجاحه، وأن يُمتنع عن كلِّ ما يتضمَّن الاستهزاء أو الانتقاص منها، وذلك الأمر لا يتعارض مع كون صاحب الاعتقاد له الحرية في التَّعبير عن معتقده، إلَّا أنَّ ذلك التَّعبير يتعيَّن أن يكون بعيدًا عن التَّجريح والهجوم، والَّذي لا يساعد على الالتقاء والتَّفاهم؛ بل إنَّه يدعو إلى الصِّراع والتَّنافر[3].

---

(1) انظر فهمي، هويدي، **المفترون: خطاب التَّطرف العلماني في الميزان**، (مصر، دار الشُّروق للنشر والتَّوزيع، 1996م)، ص18.

(2) أحمد، حسن إبراهيم، **صدام المصالح وحوار الحضارات**، (الأردن، مؤسَّسة علاء الدِّين للطباعة والتَّوزيع، 2004م)، ص178.

(3) عزوزي، عبد الحق، **القيم الحضارية والإنسانية المشتركة بين الواقع والمتغير**، ج1، ص215.

وقد أمر الله –تعالى– في كتابه الكريم بعدم الإساءة لمعتقدات الآخرين، وهو ما يستدلُّ عليه من قول الله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:108]، فاحترام الآخرين ومراعاة آداب الحوار لا يدلُّ على ضعف أو هوان، وإنَّما على فطنة وذكاء، وبه يتمُّ استمالة قلوبهم.

رابعًا: أثر الحوار في التَّواصل الحضاري وضوابطه في ضوء الشَّريعة الإسلاميَّة

يعدُّ الحوار القاعدة الأساسيَّة الَّتي يجب أن تتفق عليها البشرية، ومع انقطاع الحوار تزداد الفجوة بين الأفراد، وتظهر التَّقاطعات البشرية كحقيقة ترهنها النُّفوس الضَّعيفة؛ فتصبح وسيلة تؤدِّي إلى الصِّدام، ومع انقطاع الحوار تزداد الصِّراعات البشرية، والَّتي ما نتجت إلَّا نتيجةً لانقطاع الحوار، فغياب الحوار يحلُّ محله أسلحة الصِّدام الَّتي تتكلم بلغة واحدة، غايتها تحطيم الآخر مهما كان الثَّمن.

فالحوار الحضاري هو البديل للصدام، وهو السَّبيل لتحقيق النَّفع المشترك للبشرية، وبه يتِّجه البشر نحو البناء ومواجهة التَّحدِّيَّات، والإسلام منذ ظهوره وهو قائمٌ على تدعيم الحوار بين الحضارات المختلفة، فالتَّفاعل الحضاري لا ولن يتحقق إلَّا عن طريق حوار بنَّاءٍ وفاعلٍ بين الأديان، يقول عالم اللاهوت الألماني "هانس كينغ": "لا حوار بين الحضارات بدون سلام، ولا سلام بدون حوار بين الأديان"[1].

(1) القاضي، أحمد بن عبد الرَّحمن بن عثمان، **دعوة التَّقريب بين الأديان، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلاميَّة** (الرِّياض، دار ابن الجوزي، 1421هـ)، مج1، ص490.

ومن خلال الحوار يتمُّ احترام التَّمايز بين الحضارات المختلفة، ويتمُّ إفساح المجال للخصوصيات الدِّينية والحضاريَّة والقومية، والَّتي تمارس دورًا إيجابيًّا في التقاء الحضارات، والَّذي بدوره يُعدُّ مَعلمًا من معالم التَّاريخ الحضاري، ويمكن القول إنَّ الإسلام دينٌ وحضارة، وبالتالي فهو يدعو إلى التَّفاعل بين الحضارات، وينكر المركزية الحضاريَّة، فلا حضارة واحدة تهيمن على العالم وتتحكم في التَّكتلات الحضاريَّة الأخرى، وذلك لا يتناقض مع كون الإسلام دينًا عالميًّا، وكون النَّبيّ ﷺ خاتم النَّبيّين، ومرسل رحمةً للعالمين، إلَّا أنَّ دعوته لم تقم على الإجبار أو القسر، فتعددية الشَّرائع الدِّينية سُنَّة من سنن الله في الأرض، وقد أخبر بذلك الصَّادق المصدوق ﷺ.

يقول الله –تعالى– في كتابه الكريم عن ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]، ودعوة الإسلام نحو التَّفاعل مع سائر الدِّيانات والحضارات نابعة من تعامل النَّبيّ ﷺ وصحابته مع غير المسلمين.

غير أنَّه لا يتعيَّن أن يُفهم ذلك الحوار والتَّفاهم مع الغير –والَّذي أرسي الإسلام قواعده– أنَّه سبيل إلى الذَّوبان في الحضارات المختلفة، والَّتي تتفق مع جوهر الإسلام؛ فالحوار والتَّعارف لا يلغي الفوارق والاختلافات، ولكنَّه يؤسس للعلاقات الإنسانية الَّتي يريد الإسلام لها أن تسود حياة النَّاس، فالتَّأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضاريَّة والثَّقافية لا يمنع من التَّعاون بين المسلمين وغيرهم،

وعلى ذلك يجب تحديد أهمِّ ضوابط الحوار، والَّتي يتعين على المسلم مراعاتها، بدون إفراطٍ أو تفريطٍ في الحوار، فيُؤتى ثماره المرجوة[1].

وفيما يتعلق بالحوار والتَّعارف في الفترة المكِّية –وفقًا لما ورد في القرآن الكريم– فقد كان مُناسبًا للمرحلة الدَّعوية آنذاك، حيث واجهت الدَّعوة عنادًا وصلابةً في الباطل، فكان الحوار في القرآن المكِّي يتميَّز بإيجاز الآيات وقِصَرِها، وكانت الآيات تتنزَّل مُعالجة لموضوع واحد من منظورٍ مُتعدد، فمن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أنَّ العرض مناسبٌ لطبيعة السُّورة الوارد فيها، وكانت الموضوعات الحواريَّة في السُّور المكِّية متتابعة، يتخللها السَّرد، للانتقال من حوارٍ إلى آخر.

ومن أهمِّ المسائل الحواريَّة في القرآن المكِّي؛ كان الجدال حول ألوهية الله –سبحانه وتعالى– وتوحيده، والجدال حول النُّبوة الكريمة لنبينا محمَّد ﷺ، وعن الشُّبهات حول نزول القرآن الكريم على نبيه، وجدالات حول الحلال والحرام، وطلب المعجزات المادية، وعن أمورٍ وأخبارِ الغيب، فتناول القرآن الكريم هذه المسائل بآياتٍ كثيرة وأساليب متعددة، وكان منهجه فيها الحوار بالحسنى، ورد الشُّبهات باللين تارة والوعيد تارةً أخرى.

فكان هذا إعلامًا من الخالق –عزَّ وجلَّ– بأنَّ السَّبيل الأمثل والأوضح للتعارف والتَّواصل والدَّعوة، هو ما أمر به الله –تعالى– جميع خلقه، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

(1) فضل الله، محمَّد حسين، **في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي**، (لبنان، دار الملاك، 1994م)، ص96.

خامسًا: ضوابط الحوار في الشَّريعة الإسلاميَّة:

إنَّ أساس الحوار هو وجود قضية معينة بين فريقين أو أكثر، وكلُّ طرفٍ منهما يعرض رأيه، وخاسرٌ من يدخل الحوار وليس له قضية، وعليه فإنَّ من له قضية ما، فعليه بوضع منهجٍ يكون أساسًا للحوار، وضوابط يجب عليه اتِّباعها[1]، ومن هذه الضَّوابط ما يلي:

1. القبول بالتَّعدد الثَّقافي:

يُظهر الإسلام للمسلمين الحوار على أنَّه طبيعة إنسانية، كما أنَّه ضرورة دينية؛ فقد كان الحوار مهمَّة الرُّسل جميعًا، وهو واجب على المسلمين، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، فالمسلم عليه أن يدعو الغير إلى الإسلام، ولكنَّ تلك الدَّعوة مرهونة بثوابت يتعين الالتزام بها، بدءًا من منطلقات الحوار، والَّتي أوردها الله –تعالى– في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]، والإسلام أثبت تلك التناقضات الَّتي من أجلها يحدث الحوار، فهناك تناقضات بين الهدى والضَّلال، والإيمان والكفر، والعدل والظُّلم، والحقِّ والباطل[2].

كما أنَّ الثَّقافة الإسلاميَّة تقرُّ التَّحاور مع الثَّقافات الأخرى؛ لمعرفة ما لديهم، والتَّقصي ممَّا عندهم، فلو كان باطلًا أنكروه، وإن كان حقًّا أخذوا منه، ولا يجوز بحال من الأحوال التَّمسك بالباطل في الحوار وإنكار الحقِّ، وإلَّا كان المسلمون كالنَّصارى واليهود، حيث اغتروا بما لديهم فضلُّوا، قال

(1) المعايطة، قيس سالم، **ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي**، ص164.

(2) بخيت، محمَّد حسن، **أدب الحوار**، ص60.

الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

2. التَّواضع في الحوار:

إنَّ الكبر والغرور أمران نهى عنهما النَّبيّ ﷺ، فما كانت معصية إبليس إلَّا نتيجة الكبر والغرور، والحوار لا يكون مثمرًا إذا كان قائمًا على الكبر، بل يتعين في الحوار أن يكون قوامه الأدلة والبراهين[1]، وذلك مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النَّمل: 64].

لذا يتعين على المحاور المسلم ألَّا ينشد الحقَّ غرورًا، ولا يجادل بالباطل، وإنَّما عليه أن يستند إلى الأدلة والبراهين الَّتي يقبلها العقل، وإلَّا كان حواره دربًا من السُّخف، ومضيعة لجهدٍ لا نفع من ورائه، ويدخل بعمله الآخرين في متاهات، كما يتعين عليه معرفة الآخر قبل التَّحاور معه؛ فمن خلال تلك المعرفة يمكن مد جسور للتفاهم، وذلك لابتغاء ما عند المسلمين من خير، وعلى ذلك كان السَّلف الصَّالح؛ كانوا يحاورون بالأدلة والبراهين، ويخاطبون العقل، امتثالًا للمنهاج القرآني.

3. مجانبة الهوى في الحوار:

الهوى أحد المزالق الخطرة، حيث يُخرج المتحاورين من طريق الخير[2]، وقد صور الله – تعالى– ذلك في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ

---

(1) محمَّد، حسين عبدالعال حسين، **مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم**، المجلَّة العلمية لجامعة الملك فيصل– العلوم الإنسانية والإدارية، مج19، ع1، جامعة الملك فيصل، 2018م، ص101.

(2) انظر: طنطاوي، محمَّد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، (مصر: دار نهضة مصر للطباعة، 1997م)، ص30.

بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]، وقال الله –تعالى– فيمن يتَّبع هواه: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 71].

وفي الآية الكريمة أنَّه لا ضلال عن سُبل السَّداد وطريق الرَّشاد أكبر ممن اتَّبع هوى نفسه على غير بيِّنة من الله –تعالى– وعهدٍ منه، فتُبيّن الآية الكريمة أنَّ الله –سبحانه وتعالى– لا يُوفق لإصابة الحقِّ من يخالف أمره، ويترك طاعته، ويكذب برسله، ويبدل عهده، ويتبع أهواء نفسه، إيثارًا لطاعة الشَّيطان على طاعة الله عزَّ وجلَّ، والبعد عن الهوى وطريق الشَّيطان واتِّباع الطَّريق المستقيم أمر إلهيٌّ، ولا يمكن للمرء أن يتبع الطَّريقان في آن واحد، فإمَّا يتبع هواه، وإمَّا يتبع الحقَّ، أو يكون متبعًا للهوى، ومن يرغب في التَّواصل مع الآخرين فعليه اتِّباع الحقِّ، ولا ينصرف للهوى أو يتبع خطوات الشَّيطان.

سادسًا: نماذج من حوارات النَّبيّ ﷺ

أمر الله –سبحانه وتعالى– المؤمنين، بالصَّبر على أهل الكتاب وأذيتهم، فقال –تعالى– في كتابه الكريم: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]، فوضع القرآن الكريم قواعد في معاملتهم ومحاورتهم بالحسنى، فقال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّين وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]، وكانت وسائل دعوة النَّبيّ ﷺ لليهود كثيرة؛ منها: الدَّعوة إلى العقيدة والشَّريعة الإسلاميَّة، ومنها ما كان يختصُّ بالمعاملات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وكان موقفهم دومًا الغدر والخيانة في مواجهة

إيجابيات وتسامح الدِّين الإسلامي، وقد ورد في كتب السِّيرة حوارات كثيرة للنبي ﷺ مع اليهود والنَّصارى، نذكر منها:

أوَّلًا: حوار النَّبيّ مع عبد الله بن سلام (من اليهود)

كان عبد الله بن سلام عالم اليهود المقدَّم في المدينة المنورة، وكان يعمل في نخله حينما وصلته أنباء دخول النَّبيّ ﷺ إلى قباء، فترك نخله وذهب إلى النَّبيّ، فذُكر أنَّه قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاس إِلَيْهِ، وَقِيلَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... فَجِئْتُ فِي النَّاس لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاس أَفْشُوا السَّلام، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاس نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ»[1].

وكانت علامات النَّبيّ ﷺ معروفة عند أهل الكتاب، تحقَّق عبد الله منها، ومن ثمَّ أراد أن يتحقق من عِلم النَّبيّ –عليه الصَّلاة والسَّلام–، فقام بتوجيه بعض الأسئلة إليه والَّتي لا يُعلم جوابها إلَّا من نبيٍّ كريم[2]، فجاء في صحيح البخاري عن أنس ﷺ أنَّ عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمَه إلى المدينة فقَالَ: «إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ ﷺ أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا، قَالَ ابْنُ سَلامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلائِكَةِ، قَالَ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، **كتاب إقامة الصَّلاة والسُّنَّة فيها**، باب ما جاء في قيام الليل، ج1، ص423، ح (1334)، حكم الألباني: صحيح.

(2) ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، ج2، ص384.

اللَّهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ!! فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»[1].

ويكشف هذا الحوار أنَّ أصل الدِّين عند الله –سبحانه وتعالى– هو الإسلام، وأنَّه رغم تحريف اليهود للتوراة بقي لهم بعضٌ من العلم دون تحريفٍ، فكانوا يخفونه عن النَّاس، وكان سيِّدهم في المدينة يعلم علم اليقين ضلالهم، فلمَّا أراد الله الخير به أسلم، فكانت عقلية اليهود خاصة، استوجبت الدِّراسة؛ لمعرفة طُرق الحوار والتَّعارف معهم، وهي نفس عقلية الحاضر، من الوعود البرَّاقة الَّتي ما هي إلَّا بُهتانٌ وزور، فيتوجب علينا تدبر هذا الأمر.

ثانيًا: حوار النَّبيّ مع وفد نصارى نجران

تعدُّ محاولات السَّنة التَّاسعة للهجرة من أوضح محاولات الاتِّصال المباشر بين النَّبيّ ﷺ والنَّصارى، حيث إنَّ الرَّسول ﷺ كان قد أرسل إلى نصارى اليمن من يدعوهم؛ فأرسلوا وفدًا إلى المدينة المنورة، رغبةً في الاطِّلاع على الأمر، واشتهر هذا الوفد في كتب السِّيرة والتَّاريخ بوفد نصارى نجران[2].

(1) رواه البخاري في صحيحه، **كتاب مناقب الأنصار**، ج5، ص69، ح (3938).

(2) ينظر: الطَّبري، **تاريخ الطَّبري**، ج3، ص139.

ويذكر المفسرون أنَّ سورة "آل عمران" نزلت آياتها الكريمة من الآية الأولى إلى الآية الثَّالثة والثَّمانين في هذه المناسبة[1]، فجاء في هذه الآيات الكريمة محاجة رسولنا الكريم ﷺ لأهل الكتاب، والَّتي كانت نتيجتها رفضهم الدُّخول في الدِّين الإسلامي، وأصروا على بقائهم على دينهم، فجاء الأمر الإلهي للنبي الكريم بالمباهلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 59 – 61].

وجاء في صحيح البخاري، عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّه قَالَ: "جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا، فَقَالَ ﷺ: لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ"[2].

قال ابن حجر: وَفِي قِصَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ الْفَوَائِدِ أَنَّ إِقْرَارَ الْكَافِرِ بِالنُّبُوَّةِ لَا يُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ حتَّى يَلْتَزِمَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، وَفِيهَا جَوَازُ مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ تَجِبُ إِذَا تَعَيَّنَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَفِيهَا مَشْرُوعِيَّةُ مُبَاهَلَةِ الْمُخَالِفِ إِذَا أصرَّ بعد ظُهُور الحُجَّة"[3]، وقال ابن هشام: "فلمَّا كلَّمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما» قالا: قد أسلمنا، قال: «إنَّكما لم تُسلما فأسلما» قالا: بلى قد أسلمنا

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص480، وما بعدها.

(2) رواه البخاري في صحيحه، **كتاب المغازي**، باب قصة أهل نجران، ج5، ص171، ح (4380).

(3) ابن حجر، **فتح الباري**، ج8، ص95.

قبلك، قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتكما الصَّليب، وأكلكما الخنزير» قالا: فمن أبوه يا محمَّد؟، فصمت عنهما رسول الله ﷺ، ولم يجبهما، فأنزل الله تبارك وتعالى من قولهم، صدر سورة "آل عمران"، إلى بضعٍ وثمانين آية"[1].

يتَّضح لنا من هذا اللقاء حرص النَّبيّ ﷺ على الأدب النَّبوي، بالحلم وحسن المعاملة مع المجادلين، فلم يمسسهم أي أذًى، على الرَّغم من كونهم في مدينة رسول الله ﷺ، وعلى العكس فقد أكرم وفادتهم، والتزم بآداب الجدال معهم بالحسنى، وحرص -عليه الصَّلاة والسَّلام على إظهار الحقِّ، وإقامة الحُجَّة على المجادلين، وعلى ذلك فقد أقروا بالحقِّ، ولكنَّهم أعرضوا عنه، فجبنوا عن المباهلة.

فعلى المسلم المحاور أن يبذل قصارى جهده، مخلصًا لله سبحانه وتعالى، فإن لم يستجب الطَّرف الآخر، فهذا من قضاء رب العزَّة وقدره.

الرَّأي الشَّخصي:

إنَّ التَّعارف هو أحد وسائل قهر التَّسلط والاستبداد، وهو كذلك أحد وسائل قهر التَّعصب والانغلاق الفكري وتجنب الإرهاب بكلِّ ألوانه، فنجد ما فطِنت إليه الدُّول والجماعات والمؤسسات من أهمِّيَّة التَّعارف والحوار والتَّواصل في التَّأثير على الآخرين؛ فأنشأت الدُّول السِّفارات، وأرسلت البعثات، وأُقيمت الوحدات المتخصصة المعروفة بالعلاقات العامَّة، فأصبح ذلك فنًّا ذا أصولٍ وقواعد، يُدرَّس في الجامعات والمعاهد، وهدفه الأوَّل هو التَّعارف والاتِّصال مع الآخرين، للإقناع بآراء، أو تصحيح أفكار، أو تمهيد لقضايا معينة.

(1) ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية**، ج1، ص416.

فالكثير من الشُّعوب المعاصرة تحمل المفاهيم الخاطئة عن غيرها، وأكثر من يُعاني من ذلك هم المسلمون، فالموروث الغربي عن الحروب بين المسلمين وغيرهم، وما يلعبه الإعلام المعادي المعاصر؛ ينقل صورًا سلبية عن المسلمين لدى الآخرين، والتَّعارف والحوار الحضاري هُما أفضل وسائل تغيير وتبديد ذلك كلِّه، فلُغة التَّعارف، وثقافة الحوار يُمثِّلان صِمام الأمان لعالمٍ يموجُ بالتَّنوُّع، ويُقاد قصرًا إلى نمطٍ واحد، يُروَّج له على أنَّه النَّمط الحياتي الأمثل، ودُعاته لديهم من القوَّة والمال والوسائل الإعلامية ما يعمل على فرض رأيهم ورؤاهم؛ لذا فإنَّ التَّعارف يعدُّ سبيل النَّجاة لحضاراتٍ وأمم من السُّقوط الحضاري.

الفصل الثَّاني: شواهد وتطبيقات قيم التَّعارف في الحوار الحضاري في العهد المكِّي.

المبحث الأوَّل: شواهد التَّعارف في حياة النَّبيّ ﷺ في المرحلة المكِّية

أوَّلًا: معرفة الرَّسول بمكَّة ومجتمعها القرشي.

ثانيًا: معرفة الرَّسول بمكَّة وأطيافها الاجتماعيَّة

ثالثًا: معرفة النَّبيّ ﷺ بالواقع الدِّيني الكتابي.

رابعًا: معرفة النَّبيّ ﷺ بالواقع العربي.

المبحث الثَّاني: الأساليب القرآنيَّة في الحوار والجدل في العهد المكِّي، من خلال نماذج مختارة

أوَّلًا: نموذج سورة الأنعام.

ثانيًا: نموذج سورة القصص.

ثالثًا: نموذج سورة الكهف.

المبحث الثَّالث: أشكال ومقوِّمات الحوار النَّبوي ومعاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى

أوَّلًا: أشكال الحوار.

ثانيًا: موقف قريش والمشركين من الحوار النَّبوي.

ثالثًا: الملامح العامَّة لآداب الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ.

رابعًا: مقوِّمات الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ وآثارها الحضاريَّة.

خامسًا: أثر معاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى.

سادسًا: أثر التَّعارف على العلاقات الاقتصاديَّة بين الرِّسالة الإسلاميَّة والشُّعوب الأخرى.

الفصل الثَّاني: شواهد وتطبيقات قيم التَّعارف في الحوار الحضاري في العهد المكِّي.

المبحث الأوَّل: شواهد التَّعارف في حياة النَّبيّ ﷺ في المرحلة المكِّية.

عاش النَّبيّ ﷺ أكثر عمره في مكَّة المكرَّمة، فقد قضى بها ثلاثًا وخمسين سنةً هي مراحل الصِّبا والشَّبيبة والكهولة، حيث نبأ على رأس الأربعين من عمره، وكانت تلك الفترة كافية لصقل مواهبه وتعميق معارفه بالواقع الاجتماعي والثَّقافي والسِّياسي حوله، ويمكن تتبع شواهد التَّعارف والمعرفة بالآخر من خلال ما يأتي:

أوَّلًا: معرفة الرَّسول بمكَّة ومجتمعها القرشي

عاش النَّبيّ ﷺ جلَّ حياته في مكَّة المكرَّمة منذ الطُّفولة، وكان لمشاركته في الحياة العامَّة أثرٌ كبيرٌ، إذ إنَّه ﷺ شارك في الحياة المدنية والسِّياسة في مكَّة، واكتسب معارفه المختلفة، وكان فاعلًا في الحياة الاجتماعيَّة أيضًا، وممَّا يدلُّ على ذلك:

1. **حلف الفضول:** شارك النَّبيّ ﷺ قريش في حلف الفضول، وهو ابن عِشْرِينَ سنةً، والَّذي كان يهدف إلى إنصاف المظلومين من الظَّالمين، بغض الطَّرف عن قبيلته وقرابته[1].

(1) ابن سعد (ت 230هـ)، **الطَّبقات الكبرى**، ج1، ص103.

2. **حرب الفِجَار**: شارك ﷺ مع أعمامه من بني هاشم وقريش في حرب الفِجَار، وهي الحرب الَّتي وقعت في الأشهر الحرم وسميت لذلك بالفِجَار، ومن خلالها اكتسب النَّبيّ ﷺ الخبرة الحربية، وطبيعة التَّحالفات والعلاقات في الحجاز.

3. **التِّجارة**: اشترك النَّبيُّ ﷺ في الحياة الاقتصاديَّة، واكتسب الخبرة في المعاملات التِّجارية وغير التِّجارية عندما سافر مع عمه وهو صبيٌّ صغير للتجارة، كما أنَّ النَّبيّ ﷺ مارس التِّجارة في مال السَّيدة خديجة –رضي الله عنها–، واكتسب بذلك خبرة واسعة في البلاد وأحوال النَّاس[1].

وقد شهد الجميع للنبي ﷺ بالأخلاق الحميدة في رحلاته التِّجارية، كما أنَّه ﷺ قد تحلَّى بسائر الأخلاق الحسنة؛ ممَّا جعله أهلًا للزعامة في قومه، ومن خصاله الجلية والتي لم يختلف عليها أحد حرصه على أداء الأمانة؛ فقد كان أحرص الخلق على أداء الأمانة؛ لذا فقد شهدت له قريش كلُّها بالصِّدق والأمانة، وممَّا يدلُّ على ذلك حرصه على رد الأمانة إلى أصحابها في أحلك الأوقات؛ فقد أمر ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ بالبقاء في مكة عندما خرج ﷺ إلى المدينة مهاجرًا لرد الأمانات إلى أهلها.

وقد روى أبو هريرة ﷺ الكثير من أحاديث النَّبي ﷺ الَّتي تحضُّ على وجوب الأمانة ولو كان المؤتمن كافرًا، ومنها ما رواه عنه ﷺ: "اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، فَقَالَ الَّذي شَرَى الْأَرْضَ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، قَالَ: فَتَحَاكَمَا

(1) ابن كثير، القرشي الدّمشقي (ت 774هـ)، **السّيرة النَّبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1976م)، ج1، ص255.

إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ. وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ. وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدَّقا"[1].

ومن أمانة النَّبيّ ﷺ بعد البعثة أنَّه أدَّى الأمانة الكبرى الَّتي حملها وهي أمانة الرِّسالة، فهي من أعظم الأمانات، وقد تحمل النَّبيّ ﷺ في سبيل ذلك ألوانًا من المشقَّة، فبعد نزول الوحي بدأ الرَّسول ﷺ بتبليغ رسالة الإسلام لأهل بيته والمقرَّبين منه، ثمَّ بلَّغ عشيرته وأقرباء الدَّم قبل أن ينذر سائر سكان مكَّة، ولم يستجب لدعوة الرَّسول من أهل مكَّة إلَّا أقلية من النَّاس، وقد رفض أغلب قريش والكثير من أهل مكَّة الدَّعوة الإسلاميَّة.

ولم يقتصر رفض المشركين من أهل مكَّة للإسلام على العزوف عن الدُّخول فيه، بل تعدُّوا ذلك إلى إيذاء الرَّسول محمَّد ﷺ وضعفاء المسلمين، وقد حاولوا التَّشهير بالإسلام؛ فقالوا: إنَّ ما جاء به الرَّسول ﷺ لم يكن جديدًا عليهم، بل كان مثلُه عند اليهود والنَّصارى، وقالوا إنَّه كذب وأساطير الأوَّلين، ثمَّ ادَّعوا أنَّ الرَّسول ﷺ لُقِّن هذا الكلام من قِبل رجل أعجميٍّ يعيش على جبل حراء، وتمادوا بالافتراء على الرَّسول ﷺ واتهامه بأنَّه ساحر أو مجنون، وادَّعى بعضهم أنَّ ما يقوله شعرًا، وحاولوا جاهدين ثني من دخل الإسلام عنه وإعادتهم إلى الشِّرك[2].

4. **التَّحكيم وفضُّ النِّزاعات:** ومن خلاله الكريمة ﷺ القدرة على الحكم والقضاء وسرعة البديهة في حسم الأمور، ويستدلُّ على ذلك من حكمه ﷺ بين أهل مكَّة المكرَّمة حين جددت قريش بناء الكعبة، واختلفت بطونها فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه من البناء، فأظهر من

(1) أخرجه البخاري **في صحيحه**، ج3، ص345، ح (1721).

(2) صالح أحمد العلي، **تاريخ العرب القديم والبعثة النَّبوية**، ص357– 378.

سرعة الخاطرة وقوَّة البديهة ما حسم الموقف وأرضى المتنازعين، كما كشف ذلك الموقف عن قيمة النَّبيّ ﷺ في الحياة الاجتماعية في مكَّة المكرمة بحيث ارتضاه رجال الملأ حكمًا ورضوا بحكمه[1].

فقد كان رسول الله انعكاسًا لأخلاق الإسلام وتطبيقاته، فكان يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقه بما يراعي ويتناسب مع الفروع والأصول؛ ليسود العدل والرِّضا في المجتمع.

وقد اهتمَّت الشَّريعة الإسلاميَّة بالتَّحكيم، وأكبرت دور القاضي لإرساء العدل بين النَّاس؛ بين المسلم وغير المسلم في العلاقات الإنسانية، وحقوق الجار، وحقوق الطِّفل والمرأة، والرِّفق حتَّى بالحيوان، وفض المنازعات في المواريث، فقد أظهرت أخلاق رسول الله ﷺ هذه التَّعاليم لأهل قريش ولكن كان كفرهم وخوفهم من الدَّعوة الإسلاميَّة أكبر من الاعتراف بذلك.

ثانيًا: معرفة الرَّسول بمكَّة وأطيافها الاجتماعيَّة

لم تقتصر معرفة النَّبيّ بقريش البطاح أو الظَّواهر فقط، إنَّما كان عالمًا بمكوِّناتها الأخرى وتحالفاتها القريبة مع قبائل الحجاز، وكذا بمواليها وعبيدها؛ ممَّا أهَّله إلى أن يفتح مع الجميع أبواب الحوار المفيد، ومن هؤلاء الأحابيش الَّذين اختُلف فيهم أهم قبائل عربية؟ أم مجموعات مولدة من العرب والأحباش؟ أم هم الموالي اللصقاء بقريش؟

وكان الخُلق الكريم القويم الحكيم للنبي ﷺ عاملًا مهمًّا في وقوف طبقة الأحابيش –وهم من مهمشي مكَّة– مع المسلمين حينما طلبوا دخول مكَّة لأداء العمرة في عام الحديبية، فخُلق النَّبيّ

(1) ابن سعد، **الطَّبقات**، ج1، ص214.

وأسلوبه في الحوار كان عاملًا في زيادة إعجاب الطَّبقة المهمَّشة وعامَّة النَّاس، بعدله عليه الصَّلاة والسَّلام، واحترامه لمبدأ المساواة في ظلِّ الواقع القبلي في مكَّة الَّذي كان يمتهن العامة والمهمشين والضُّعفاء، ويرفع ويُعلِّي من شأن السَّادة، فيُمكن القول بأنَّ مكَّة المكرَّمة فُتحت أخلاقيًّا قبل أن يكون فتحها عسكريًّا، فلم يُقاتل أهلها في عام الفتح، بل فُتحت أبوابها لرسول الله ﷺ بدون خوف أو فزع[1].

وقد كان الأحابيش يمثِّلون أصنافًا متنوِّعة من النَّاس؛ من البطون القبلية، والجماعات الَّتي وفدت إلى مكَّة، وكذلك من الأعراب ممَّن أقاموا فيها، فلم يكونوا مجموعة قبلية ثابتة، وكان نتيجة ذلك عدم تحيُّزهم للقيم المتعارف عليها؛ ممَّا جعلهم أكثر إنصافًا وبُعدًا عن العصبية، والمرجح أنَّهم كانوا أكثر سكان مكَّة، ومن الطَّبقة المهمَّشة المستضعفة فيها، فلمَّا جاء الدِّين الإسلامي الحنيف زودهم بمعاني الأخوة والمساواة؛ ممَّا عزَّز شعورهم بالإنسانية، وأصبحت قريش تحسب لها حسابًا[2].

ويُمكن إضافة من لحق بمكَّة من الحرفيين والوافدين إلى فئة الأحابيش أيضًا، وعليه فإنَّهم لم يمثلوا مجموعات قبلية ثابتة مثل حلف المطيبين أو حلف الأحلاف؛ ممَّا جعلهم أكثر إنصافًا وبُعدًا عن التَّعصب، لا سيما وقد وصفهم رسول الله ﷺ بأنَّهم قوم يتألهون؛ أي أنَّهم يعبدون ويعظِّمون أمر الله، على الرَّغم من وجود بعض المسيحيين من بينهم ممن لم يكونوا على دين قريش، إلَّا أنَّنا يجب أن نذكر أنَّهم كانوا من الفئات المهمشة المستضعفة، وكانت مكة تنظر إليهم كونهم تابعين لها فقط، حتَّى جاء الإسلام، فأعطى لهذه الفئة وضعًا جديدًا في المساواة والأخوة، فاستمالهم رسول الله ﷺ،

---

(1) وضَّاح خنفر، **الربيع الأول "قراءة سياسية واستراتيجية في السِّيرة النَّبوية"**، (بيروت، دار جسور للترجمة والنَّشر، 2020 م)، ص28.

(2) **المصدر السَّابق**، ص120.

وعمل على تعزيز وضعهم وشعورهم الإنساني، ممَّا أسهم بشكل كبير في أن يصبحوا قوَّة سياسية كبيرة، دفعت قريش لأن تحسب لهم حسابًا فيما بعد ذلك[1].

وكان الضُّعفاء والفقراء –الَّذين لا جاه لهم ولا سطوة في مكَّة– من السابقين إلى الإسلام، وفي رواية للبخاري، قال: "سمعت عمارًا يقول: رأيت رسول الله ﷺ، وما معه إلَّا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر"، والعبيد هم: زيد بن حارثة، وبلال بن رباح، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية، وعامر بن فهيرة، وعبيد بن زيد الحبشي، والمرأتان هما: خديجة بنت خويلد، وأم أيمن، وقد استصغر أهل قريش شأن هؤلاء، وتخيلوا أنَّهم مجرد أمر عارض سينتهي ويزول[2]، وقد قضى الله –سبحانه وتعالى– أن يكون الأتباع الأوَّلين للدعوة الإسلاميَّة من الفقراء والمهمشين؛ لتنمو الدَّعوة الإسلاميَّة على السُّنَّة البشرية في التَّطور والتقدُّم، ولبيان الحاجة الملحة للتحمل والصَّبر، ومواجهة الكفر والطُّغيان والتَّعنت بالتَّسامح والعفو.

وقد حوت كتب التُّراث والفقه الإسلامي بمختلف مذاهبه تراثًا ضخمًا في مجال العلاقات الَّتي وضحت للمسلمين أصول التَّعامل مع غير المسلمين، وفي ذلك النوع يتمُّ التَّركيز على النِّقاط المشتركة بين المسلمين وغيرهم؛ فهم يهدفون إلى تعميم التَّكاتف، كما أنَّ تلك العهود تصطبغ بالصِّبغة الأخلاقيَّة أو المصلحة العامة[3].

---

(1) الشّرفات، جهاد سالم جريد، **منهج القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية الشَّريفة في جدل غير المسلمين**، مجلة المنارة للبحوث والدراسات ، مج20، ع3، جامعة آل البيت – عمادة البحث العلمي، 2014، ص117.

(2) غلوش، أحمد أحمد، **السِّيرة النَّبوية والدَّعوة في العهد المكي، إسلام الضُّعفاء فقط**، (بيروت، مؤسَّسة الرِّسالة، ط1، 2003م)، ص451.

(3) الشّرفات، **منهج القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية الشَّريفة في جدل غير المسلمين**، ص117.

وهنا يمكن القول إنَّ دين الإسلام قد أولى النَّفس البشرية عناية كبيرة، فلكي تستطيع أن تتعامل مع الآخر لا بدَّ من معرفة النَّشأة والصِّفات المميزة له، وما متعارف لديه من عادات وأعراف؛ حتَّى تتمكَّن من التَّعامل معه بشكل سليم، وتستطيع الوصول إلى مكامن شخصيته وإقناعه بما تريد الوصول إليه، ومن سماحة الإسلام أنَّه اهتمَّ بدراسة النَّفس البشرية، فكانت أساسًا في التَّعامل مع غير المسلمين، وأساسًا في العهود والمواثيق بينهم؛ رحمةً بهم ورأفة وحرصًا على معاملتهم بما يتناسب معهم، والأمثلة كثيرة في حسن معاملة غير المسلمين في السِّلم والحرب.

ثالثًا: معرفة النَّبيّ ﷺ بالواقع الدِّيني الكتابي.

لقد كان النَّبيُّ ﷺ على دراية بالواقع الدِّيني في مكَّة خاصَّة الجاهلي، وهو الَّذي عاش عمرًا بين المشركين، والشَّواهد على ذلك لا تحصى، ويكفي في ذلك تلاوة سورة "الأنعام" للوقوف على العادات والتَّقاليد العربية، كما أنَّ معرفته كانت بالغة بالواقع الدِّيني النَّصراني واليهودي من خلال الاختلاط الواقع في أمِّ القرى، أو من خلال تعامله ﷺ معهم بعد النبوة.

أ-الواقع الدِّيني النَّصراني:

لم يكن للنصارى حضورٌ كبيرٌ في مكَّة والمدينة وما حولها، وإنَّما كانوا أقلية جنوب الجزيرة العربية بنجران وما حولها، وأثناء البعثة النَّبوية كانت عواطف المسلمين متَّجهة إلى الرُّوم والنَّصارى، كما هو الشَّأن في تفسير قوله تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الرُّوم، 1-5].

وممَّا يورده أصحاب السِّير والمؤرخون قصَّته ﷺ في السَّفر إلى الشَّام، ولقاءه مع بحيرا الرَّاهب، والقصَّة وإن كان مختلفًا في صحتها وسندها، إلَّا أنَّ الإشارات المحيطة بها تفيدنا في تأكيد المعرفة والتَّعارف على الرَّغم من أحوال المخالفين.

فقد خرج النَّبيّ ﷺ للتجارة في الشَّام مع عمِّه أبي طالب، فلمَّا نزل الرَّكب بصرى من أرض الشَّام، وكان بها راهبٌ يقال له "بحيرا" في صومعة له، وهو من علماء النَّصرانية، وكانت القوافل التِّجارية كثيرًا ما تمر به قبل ذلك فلا يكلمهم أو يعرض لهم، حتَّى كان ذلك العام، فلمَّا نزلت القافلة في ظلِّ شجرة قريبًا من صومعته، صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك عندما رأى رسول الله ﷺ في الرَّكب عند قدومهم وغمامة تظله من بين القوم، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشَّجرة، وتهدلت أغصان الشَّجرة على رسول الله ﷺ، حتَّى استظلَّ تحتها[1].

فلما رأى ذلك بحيرا؛ نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام، فصُنع، ثمَّ أرسل إليهم، فقال: "إنّي قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلكم؛ صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا، إنَّ لك لشأنًا اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنّا نمرُّ بك كثيرًا، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنَّكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلكم"[2].

فاجتمعوا إليه وتخلَّف رسول الله ﷺ من بين القوم؛ لحداثة سنِّه في رحال القوم تحت الشَّجرة، فلمَّا نظر بحيرا في القوم لم يرَ الصِّفة الَّتي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلَّفن أحد

(1) ابن الأثر، **الكامل في التَّاريخ**، ج1، ص138.

(2) ابن كثير، **السِّيرة النَّبوية**، ج1، ص244.

منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا، ما تخلَّف عنك أحد، ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًّا، فتخلَّف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطَّعام معكم.

قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزَّى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثمَّ قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم، فلمَّا رآه بحيرا، جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتَّى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا فقال: يا غلام، أسألك بحقِّ اللات والعزى إلا أخبرتني عمَّا أسألك عنه، وإنّما قال له بحيرا ذلك لأنَّه سمع قومه يحلفون بهما، لكن رسول الله ﷺ قال: «لا تسلني باللات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما»، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: «سلني عمَّا بدا لك»[1].

ومن الشَّواهد على معرفته بالواقع الدِّيني؛ قصَّة هجرته إلى الطَّائف ولقائه بعدَّاس، ومعرفته ببلده نينوى بلد النَّبيّ الكريم يونس ﷺ، وممَّا جاء في السِّيرة: أنَّه "لمَّا رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له عدَّاس، فقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطَّبق، ثمَّ اذهب به إلى ذلك الرَّجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس، ثمَّ أقبل به حتَّى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثمَّ قال له: كُلْ، فلمَّا وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «باسم الله»، ثمَّ أكل، فنظر عدَّاس في وجهه، ثمَّ قال: والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك؟» قال: نصرانيٌّ، وأنا رجل من أهل

(1) أبو بكر البيهقي، **دلائل النُّبوة**، ج2، ص35.

نينوى، فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرَّجل الصَّالح يونس بن متَّى»، فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متَّى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبيٌّ»[1].

إضافة إلى شواهد أخرى ذكرها المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النَّحل، 103]، قال القرطبي: اختُلف في اسم هذا الَّذي قالوا إنَّما يعلِّمه، فقيل: هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه "جبر"، كان نصرانيًّا فأسلم، وكانوا إذا سمعوا من النَّبيّ ﷺ ما مضى وما هو آت مع أنَّه أمِّي لم يقرأ؛ قالوا: إنَّما يعلِّمه جبر وهو أعجمي، فقال الله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، أي كيف يعلِّمه جبر وهو أعجمي، هذا الكلام الَّذي لا يستطيع الإنس والجن أن يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها.

وذكر النَّقَّاش أنَّ مولى جبر كان يضربه ويقول له: أنت تُعلِّم محمَّدًا، فيقول: لا والله، بل هو يعلِّمني ويهديني، وقال ابن إسحاق: كان النَّبيّ ﷺ –فيما بلغني– كثيرًا ما يجلس عند المروة إلى غلام نصرانيٍّ يقال له جبر، عبد بني الحضرمي، وكان يقرأ الكتب، فقال المشركون: والله ما يعلِّم محمَّدًا ما يأتي به إلَّا جبر النَّصراني.

وقال عكرمة: اسمه "يعيش" عبد لبني الحضرمي، كان رسول الله ﷺ يلقنه القرآن، ذكره الماوردي، وذكر الثَّعلبي عن عكرمة وقتادة أنه غلام لبني المغيرة اسمه "يعيش"، وكان يقرأ الكتب الأعجمية، فقالت قريش: إنما يعلمه بشر، فنزلت الآية[1].

(1) أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، **دلائل النُّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م)، ص78.

والآية ترد دعواهم في تلقي القرآن من غير الوحي، ولكنَّها تشير من بعيد إلى وجود مسيحيٍّ قليل في مكة، كما هو شأن ورقة بن نوفل الَّذي عاضد النَّبيّ ﷺ في أوَّل البعثة، فقد جاء في الأثر: "فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟! قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْى"[2]، هذا فضلًا عن ورود أسماء بعض الحنفاء ممن اختار النَّصرانية كعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث.

كما يورد المفسرون أخبار وفد نجران أو الحبشة الأوَّل الَّذي وفد إلى مكَّة مستمعًا إلى النَّبيّ ﷺ في قول الله تعالى: ﴿الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَة السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص، 52– 55].

---

(1) القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج10 ص117.

(2) أخرجه البخاري، **في صحيحه**، ج1، ص7، ح (3).

وذكر البيهقي عن ابن إسحاق أنَّه قال: قدم على النَّبيّ ﷺ عشرون رجلًا وهو بمكَّة أو قريب من ذلك من النَّصارى، حين ظهر خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فكلَّموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلمَّا فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عمَّا أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلَّ، وتلا عليهم القرآن، فلمَّا سمعوه فاضت أعينهم من الدَّمع، ثمَّ استجابوا له وآمنوا به وصدَّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلمَّا قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتَّى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبًا أحمق منكم، أو كما قال، فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألون أنفسنا خيرًا"[1].

ويحثُّ الإسلام على حسن معاملة أهل الكتاب واحترام معتقداتهم ومقدساتهم، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة في كيفية معاملته مع أهل الكتاب، وفي عصرنا الحالي تجد أنَّ أهل الكتاب من النَّصارى لهم حقوقهم مثل المسلمين في القضاء، ولا يميز المسلم كونه مسلمًا في بلد مسلم على النَّصراني، ولا تجد في بلاد وديار الإسلام لغة العنصرية والكراهية كما نجدها في الدُّول الأخرى، ولكن تجد حسن المُعايشة والمواطنة في كافَّة الحقوق والواجبات.

ب- الواقع الدِّيني اليهودي:

(1) **تفسير القرطبي**، ج6، ص256.

إنَّ اليهودية من الدِّيانات الَّتي انتشرت في شبه الجزيرة العربية، وكان اليهود يشتغلون بالتِّجارة وتربطهم علاقات وثيقة مع أهل مكَّة، فلمَّا بُعث النَّبيّ ﷺ كانوا على علم به؛ لما هو مذكور عندهم في التوراة، إلَّا أنَّهم أنكروا نبوته وكذبوه، وقالوا: إنَّ موسى عليه السلام أتاهم بالألواح من عند الله فأتنا بالألواح حتَّى نصدقك[1].

كانت دراية النَّبيّ ﷺ بالواقع الدِّيني اليهودي بحكم عيشه في مكَّة الَّتي يفد إليها تجار اليهود، أو من خلال المأثورات والمنقولات عن حال يهود شمال الحجاز ويثرب، وعند الحديث عن مُباحثات وحوارات النَّبيّ ﷺ مع القبائل المختلفة فإنَّه يُمكننا ذكر أحد أعظم اللقاءات في السِّيرة النَّبوية كافَّةً، وهو لقاء وفد الخزرج مع رسول الله ﷺ، والخزرج هي إحدى قبيلتين، هما الأوس والخزرج، تسكنان يثرب، شمال مكَّة المكرمة.

ونذكر ما جاء في سيرة ابن إسحاق حول هذه القصَّة، يقول ابن إسحاق: "فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لمَّا لقيهم رسول الله ﷺ، قال لهم: «من أنتم؟»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟»، قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله –عزَّ وجلَّ– وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان ممَّا صنع الله بهم في الإسلام أنَّ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم

(1) فيصل آل مبارك، **توفيق الرَّحمن في دروس القرآن**، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمَّد، (الرِّياض، دار العليان للنشر والتَّوزيع، 1996م)، ج2، ص8.

أهل شرك، وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنَّ نبيًّا مبعوثٌ الآن، قد أظلَّ زمانه نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم[1].

ج- علاقة المسلمين بالحبشة وهجرتهم إليها.

كان أهل الحبشة يدينون بالنَّصرانية منذ حادثة الأخدود، وعن طريقهم نُشِرت النَّصرانية واعتنقها أهل الحبشة، وما زال تاريخهم قائمًا إلى يومنا هذا من الأديرة والمعابد النَّصرانية، وكان ملكهم "النَّجاشي" ملكًا عادلًا، وعلى هذا كان اختيار النَّبيّ ﷺ لبلاده؛ لأنَّه ﷺ علم أن لن يلحق بالمسلمين أذى، لمعرفة "النجاشي" بحقيقة النَّصرانية، كما يقول ابن كثير: "وَهُوَ عَلَى هَذَا الدِّين وَقَرِيبٌ مِنْكُمْ"[2]؛ لذا سيعي حقيقة الإسلام، كما أنَّ معرفة النَّبيّ ﷺ بعمق إيمان أصحابه تغني عن التَّفكير بتأثرهم بالنَّصرانية، والَّتي طالتها يد الظَّالمين فذهبت بكثير من حقائقها.

وقد جمع المسلمون بالحبشة قبل الهجرة علاقات ودِّية سببها العلاقات التِّجارية مع الحبشة، حيث جمعت العرب وبلاد الحبشة صلات تجارية قديمة لكون بلاد الحبشة تقابل بلاد الحجاز ولا يفصل بينهما سوى البحر[3].

وعلى ذلك فقد كانت العلاقات التجارية والَّتي تمثلت في إيلاف قريش، وكان هاشم بن عبد مناف هو أوَّل من سنَّها، وذلك عندما أخذ لأهل مكَّة عهدًا من ملوك الشَّام فتاجروا آمنين، ثمَّ فعل

(1) ابن كثير، **السِّيرة النَّبوية**، ج2، ص176.
(2) ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، ج1، ص393.
(3) ابن سعد، **الطَّبقات الكبرى**، ج3، ص8.

أخوه عبد شمس بن عبد مناف الشَّيء ذاته مع صاحب الحبشة، وإليها كان متجره، وأخذ بني عبد مناف الاتِّفاق مع ملوك اليمن ومن ملوك العراق للتجارة معهم آمنين، وبذلك كان لقريش رحلتان؛ أوَّلهما في الشِّتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، والثَّانية رحلة الصَّيف إلى الشَّام[1].

وقد تواصل النَّبيّ ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة مع النَّجاشي ملك الحبشة، والمنذر بن ساوي أمير البحرين، وجيفر وعبد ابني الجلندي أميري عمان، أمَّا البقية من الملوك فقد رفضوا الدُّخول في الدِّين الإسلامي، وجاءت ردودهم على رسائل النَّبيّ ﷺ على طائفتين، فمنهم من أكرم حاملي الرَّسائل النَّبوية الكريمة، ومنهم من أساء التَّصرف مع رسل النَّبيّ ﷺ، وقد كان من **الطَّائفة الأولى:** هرقل ملك الرُّوم، والمقوقس ملك مصر، فقد أكرما حاملي الرَّسائل، وأرسلوا معهما الهدايا للنبي ﷺ، ومن **الطَّائفة الثَّانية:** هوذة بن علي الحنفي أمير اليمامة، الَّذي اشترط لإسلامه أن يكون له نصيب من الأمر، والحارث بن أبي شمر الغساني أمير دمشق، والَّذي هدد بغزو المدينة، وكسرى ملك الفرس، والَّذي قام بتمزيق الرِّسالة[2].

وكان موقف النَّبيّ ﷺ من تلك الرُّدود موقفًا سلميًّا، حتَّى مع من أساء الرَّد على رسائله الكريمة، الأمر الَّذي يؤكِّد سماحة الدِّين الإسلامي في الدَّعوة إلى الله تعالى، ولو كان ما حدث من كسرى حدث مع أحدٍ غير رسول الله ﷺ من ملوكٍ أو رؤساء؛ لسُحبت السُّفراء، وقُطعت العلاقات، وأُعلنت الحروب.

---

(1) ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، ج2، ص311.

(2) الحجيري، عبد الغني عبد الله، **وسائل الإعلام في الإسلام**، (السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2014). ص73- 74.

ومن هنا يمكن القول إنَّ رسول الله ﷺ قد أكَّد في رسائله على أنَّه غير طامحٍ إلى مُلكٍ، أو جاهٍ، أو مالٍ، وقد أدَّت الرَّسائل كلُّها مهمتها خير أداء، والَّتي عُدَّت منعطفًا كبيرًا في التَّاريخ الإسلامي، وبها رسَّخ الرَّسول ﷺ أسلوبًا حواريًّا لم تعرفه الإنسانية من قبل.

لذا، وللسمات الَّتي اتَّسمت بها الحبشة فإنَّ النَّبيّ ﷺ أذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعدما كثر عدد المسلمين في مكَّة المكرمة، وتناقل النَّاس الحديث عن الإسلام، وتنامى خوف أهل قريش من ذلك فعمدوا إلى إرهاب النَّاس لثنيهم عن الدِّين الإسلامي، وتمادوا في إيذاء المستضعفين المؤمنين وتعذيبهم والمبالغة في إهانتهم[1].

فلمَّا رأى النَّبيُّ ﷺ ما حلَّ بالمسلمين من شدَّة وهو لا يستطيع كفَّ الأذى عنهم، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»[2].

وعلى الرَّغم من أنَّ الَّذين هاجروا لم يكونوا من المستضعفين من المسلمين، بل كانوا من أشراف القوم وأبناء سادتها، فكان أغلب المهاجرين من قبائل قريش، فمنهم من هاجر بمفرده ومنهم من صحب معه أهله، ومن هؤلاء عثمان بن عفان رضي الله عنه والَّذي هاجر مع زوجته رقية بنت النَّبيّ ﷺ، وقد أمره الرَّسول ﷺ بذلك[3].

---

(1) ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، ج3، ص84.

(2) البيهقي، **السُّنن الكبرى**، ج9، ص16.

(3) الحاكم، **المستدرك على الصَّحيحين**، ج4، ص50.

رابعًا: معرفة النَّبيّ ﷺ بالواقع العربي.

تجلَّى ذلك في تتبع مواطن الأسواق ومواسم العمرة والحج؛ حيث تفد مختلف القبائل من كلِّ أنحاء الجزيرة، وكان يعضده في تلك المعرفة والتَّعرف على أحوال العرب صاحبه أبو بكر الصِّديق الَّذي كان أنسب قريش لقريش وأعلم النَّاس بها.

وقد سارت مرحلة عرض الدَّعوة على قبائل العرب وفق طريقتين؛ هما:

أ-**الطَّريقة الأولى:** هي عرض النَّبيّ ﷺ نفسه على القبائل العربية طالبًا المنعة، وقد بدأت تلك المرحلة بمحنة الطَّائف في السَّنة العاشرة من البعثة[1]، وكان ذلك بعد وفاة عمِّه أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، وفي تلك المحنة فَقَد النَّبيّ ﷺ أبرز سندين له في تبليغ الدَّعوة، وسمِّي ذلك العام بعام الحزن، وبهذا صار موقف النَّبيّ ﷺ ضعيفًا، خاصَّة بانتقال زعامة بني هاشم إلى أبي لهب، والَّذي كان من ألد أعداء النَّبيّ ﷺ، وقد تمادى هو وبعضٌ من زعماء مكة في عداوة النَّبيّ ﷺ، ومن ثمَّ فكر النَّبيّ في الخروج من مكَّة لاختيار قاعدة جديدة لنشر الدِّين الإسلامي، ووقع اختياره على مدينة الطَّائف[2]، إلَّا أنَّهم قابلوا النَّبيّ ﷺ بقساوة ولم يكتفوا برفض الدَّعوة، وإنَّما آذوه وضربوه وأخرجوه من مدينتهم بطريقة غير إنسانية، وكان معه في تلك الرحلة مولاه زيد بن حارثة[3].

---

(1) أبو نعيم الأصبهاني، **دلائل النُّبوة**، ج2، ص256.

(2) محمَّد بن عبد المنعم، **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، (مصر، مطابع دار السِّراج، مؤسَّسة ناصر للثقافة، 1980م)، ص379.

(3) صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، (جامعة الموصل، مؤسَّسة دار الكتب للطباعة، 1981)، ج1، ص376.

إذ لمَّا اشتدَّ اضطهاد أهل مكة للنَّبيّ ﷺ، وألحقت قريش به الأذى؛ خرج للطائف يلتمس منهم النُّصرة على ثقيف ويدعوهم إلى الإسلام، وكان النَّبيّ ﷺ قد لقي جماعة من سادات ثقيف ودعاهم للإسلام فأغلظوا له القول وردوا عليه ردًّا فظًّا، وأغروا سفهاءهم به، فلمَّا كان ذلك عاد النَّبيّ ﷺ إلى مكَّة فدخل في جوار المطعم بن عدي، وكان من مآثر الجاهلية حيث أن يحترموا الجوار، ويلاحظ في تلك الزِّيارة أن النَّبيّ ﷺ قصد أوَّلًا السَّادة في ثقيف، وهو ما يدلُّ على أنَّه ﷺ قد بدأ بدعوة القادة والَّذين ينساق النَّاس وراءهم، وعندما رفضوا دعوته علم أنَّ غيره سيرفض الدَّعوة فلم يمكث طويلًا بالطَّائف[1].

ب-**الطريقة الثَّانية:** مرحلة عرض دعوة الإسلام على القبائل العربية في مواسم الحج، والَّتي استمرت من السَّنة الرَّابعة للبعثة إلى نهاية المرحلة المكِّية، وكانت بأمر من الله تعالى؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 94- 96].

ولقد عرض الرَّسول ﷺ دعوته إلى الإسلام على القبائل في مواسم الحجِّ والتِّجارة، ومنهم قبيلة كندة وبني عبد الله وحنيفة وعامر بن صعصعة، وقد كانت القبائل تقيم في منأى عن مكَّة، ولم يبدوا ترحيبًا باعتناق الإسلام ونصرته، حتَّى التقى الرَّسول ﷺ بجماعة من بني عبد الأشهل الخزرجيين من أهل يثرب، فلبُّوا دعوته ونصروه وبايعوه حتَّى هاجر إليهم وسائر المسلمين[2].

---

(1) محمَّد حسين هيكل، **حياة محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**، (مصر، مؤسسة هنداوي، 1935م)، ص116.

(2) صالح أحمد العلي، **تاريخ العرب القديم والبعثة النَّبوية**، ص407.

ووصف ابن سعد في طبقاته (ت 230هـ) ذلك بقوله: إنَّ النَّبيّ ﷺ أقام ثلاث سنين من أوَّل بعثته مستخفيًا، ثمَّ أعلن في الرَّابعة عن الدَّعوة، فدعا النَّاس إلى الإسلام عشر سنين يوافي المواسم كلّ عام، يتَّبع الحاجَّ في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز، حتَّى إنَّه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، ومن أقواله ﷺ: «يا أيها النَّاس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكًا في الجنَّة»[1].

وقد توقَّف النَّبيّ ﷺ عن عرض دعوته على القبائل العربية بعد أن التقى بوفدٍ من أهل يثرب، وكان ذلك في السَّنة العاشرة من البعثة، وفي السَّنة الَّتي بعدها بايعوا النَّبيّ ﷺ بيعة العقبة الأولى، وبعدها بسنة عُقدت بيعة العقبة الثَّانية بين أهل المدينة وبين الرَّسول ﷺ، ليبدأ بعدها بأشهر عهد جديد وهو العهد المدني[2].

المبحث الثَّاني: الأساليب القرآنيَّة في الحوار والجدل في العهد المكِّي، من خلال نماذج مختارة.

اختلفت الأساليب القرآنيَّة في الحوار وتباينت أهدافه، ويمكن التَّعرف عليها من خلال القصص القرآني الَّذي تنزَّل على النَّبيّ ﷺ في العهد المكِّي، ولعلَّ أهمَّ ملامح وسمات الحوار تمثَّلت في:

1. الأسلوب الاستشاري:

(1) ابن سعد، **الطَّبقات الكبرى**، ج1، ص216.

(2) أبو نعيم الأصبهاني، **دلائل النُّبوة**، ج2، ص256.

والَّذي كان ظاهره الاستشارة وباطنه الإعلام، كما في أخذ رأي الملائكة في استخلاف آدم ﷺ في الأرض، فذلك ليس من قبيل الاستشارة، وإنَّما الإعلام؛ لأنَّ الله –تعالى– ليس في حاجة إلى المشورة وذلك لكون المستشير يلتمس خير الآراء وليس هناك رأي يعلو حكمة الله سبحانه[1].

2. الأسلوب الإعلامي:

كان من أساليب الحوار القرآنيَّة في العهد المكِّي أسلوب الإعلام، والَّذي كان فيه تأكيد وقوع الخبر، وكان فيه إعجاز للكافرين لإخبارهم عمَّا وقع في عصور ماضية، أو إخبار عن أمور ستحدث بعد بضع سنوات كما في انتصار الرُّوم على الفرس من بعد هزيمتهم، وتأكيد وقوع الخبر لا يصدر إلَّا من ملك متفرد في حكمه، فالإخبار واقع على مخلوقات مطيعة ليس لها من المراجعة إلَّا ما أذن لها؛ لمعرفة الحكمة الَّتي خفيت عليهم[2].

3. الأسلوب التَّعليمي في الحوار:

يعدُّ الأسلوب القصصي أحد الأساليب التَّعليمية والتَّربوية؛ فالقصَّة يتمُّ من خلالها معالجة قضايا الحياة، كما أنَّها قد تحوي في ثناياها الحكم والعبر، وليس هناك أبلغ من القصص القرآني،

(1) الطَّبري، **تفسير الطَّبري**، ج1، ص452.

(2) أبات، محمَّد محمود أحمد، **الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، 1982م، ص32.

والَّذي يعدُّ أحد وسائل تبليغ الدَّعوة إلى الله سبحانه، وهذا يظهر جليًّا في القرآن الكريم، ولتوضيح ذلك سنقف على بعض النَّماذج المختارة، كالتالي:

أوَّلًا: نموذج سورة الأنعام

لعلَّ من أجمل أمثلة الحوار النَّبوي الكريم ما اشتملت عليه سورة "الأنعام"، فهي تضمُّ صور الحوار المتنوعة، ففيها حوار الله –سبحانه وتعالى– موجه للمشركين، وحوار رسول الله ﷺ مع المشركين، وحوار المشركين مع المشركين أنفسهم، وأيضًا حوار الملائكة مع المشركين، والحوار بين رسول الله ﷺ مع المؤمنين، وغيرها من الصُّور الحواريَّة الَّتي صورتها هذه السُّورة الكريمة.

وقد جاء الحوار من الله –سبحانه وتعالى– للمشركين في سورة "الأنعام" مفتوحًا؛ لإقامة الحُجَّة عليهم، وتفنيد ما أثاروه من شُبهات، وكذلك الإجابة عن الأسئلة المتشددة، فكانت المشاهد والمواقف الحواريَّة مع المشركين تدور حول يوم القيامة، والتَّرهيب والتَّخويف من ذلك اليوم العظيم، والتَّحذير من عاقبة استمرارهم في غيهم وشركهم، والدَّعوة إلى التَّسليم بالحق، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 22–24]، فبيَّنت الآية الكريمة صورة من صور يوم القيامة، وأحد المشاهد الحواريَّة فيها.

وفي مشهدٍ آخر، يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِين فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: 128–130]، ولكن هيهات أن يكون لإقرارهم وشهادتهم على أنفسهم في الدَّار الآخرة جدوى، وقد أنكرو ذلك في الحياة الدنيا[1].

وقد جاء في سورة "الأنعام" العديد من المشاهد والفصول عمَّا كان يقع بين النَّبيّ ﷺ والكفار من حوارات ومناظرات، وكيف كان الكفار يحاولون تعجيز النَّبيّ ﷺ، فكان الرَّد من الله –تعالى– تنديدًا بالكفار لتسويتهم بين الله –تعالى– وشركائهم، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: 5– 6].

وأمَّا ما يتعلق بحوار الرَّسول مع المشركين، فكان حواره ﷺ حوارًا يغلب عليه الجدل والافتراء من قِبلهم، وقد نزل في ذلك آيات تتلى إلى يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 25–26]، ويظهر الفرق الجلي بين الحوار في الدُّنيا والآخرة؛ ففي الحوار

(1) أحمد محمَّد الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"**، المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلِّيَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الشَّارقة، 1428هـ، ص15–17.

الدُّنيوي كان يطغى على أسلوب المشركين الكبر والغرور والصَّد، أمَّا في الآخرة فيظهر في حوارهم النَّدم على ما فاتهم وما فرطوا فيه، وما يشعرون به من مذلة وحسرة جرَّاء ما يلقونه في هذا اليوم.

وقد طلب الكفار من النَّبيّ ﷺ أن يرسل الله ملكًا مع النَّبيّ ليؤيده في دعوته، فكان الرَّد عليهم بأنَّه لو أنزل الله ملكًا لقُضي الأمر ثمَّ لا ينظرون، ولو كان ملكًا لبعث على هيئة رجل فما عرفوه[1]، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:8- 9].

ومن الصُّور الحواريَّة أيضًا في سورة "الأنعام" ما جاء من حوار التَّوبيخ والزَّجر من الملائكة للمشركين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

ويتبين حوار الكذب والتَّمويه والتَّضليل للمشركين مع المشركين في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 112- 113].

(1) الطَّبري، **تفسير الطَّبري**، ج11، ص267.

وعلى ذلك، فقد تنوَّعت الأساليب الحواريَّة في سورة "الأنعام"، والَّتي جاءت مكمِّلة لبعضها البعض في البلاغة والمقصد، وما نجد فيها من المعاني والمقاصد نبيلة الَّتي انسجمت مع أهداف ومحاور السُّورة؛ فكانت أساليب حوارية هادفةً، مخاطبةً للعقل، ذات أساليب بيانية رائعة[1]، وكانت أيضًا تستهدف التَّقرير بالحقِّ عن طريق الدَّليل والبرهان، ودحض ما كان عليه المشركون من شُبهات، ومن هذه الفنون السَّبر والتقسيم، وذلك بحصر أوصاف الموضوع مجرى الحوار، ثمَّ توضيح عدم تواجد أحد هذه الأوصاف مسوغًا لقبول الدعوى، فتصبح دعوة الخصم باطلة[2].

وكذلك أسلوب مجاراة الخصوم، وهو أحد أساليب الإقناع، كما في قول الله تعالى في قصَّة سيدنا إبراهيم ﷺ مع قومه، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 76– 79]، يقول الحافظ بن كثير في هذا الحوار: "والحقُّ أنَّ إبراهيم عليه السَّلام كان في هذا المقام مُناظرًا لقومه، مُبيِّنًا لهم بُطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام"[3].

وعلى سبيل الإثراء والتَّوضيح، فقد جاءت أساليب أخرى للحوار في سورة "الأنعام"، من أمثلتها المُطالبة بتصحيح الدَّعوى وإقامة البيِّنة عليها، وإبطال دعاوى الخصوم بإثبات نقيضها، والرَّد

---

(1) أحمد محمَّد الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"**، 29– 36.

(2) جلال الدِّين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، ص62، 63 بتصرف.

(3) الزمخشري جار الله، تفسير الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج2، ص30 باختصار.

على شُبهة بما يُناسبها، وأساليب الانتقال من المستدل إلى استدلالٍ آخر، وصيغة الاستفهام في إخراج الكلام؛ لإحداث وقعٍ في النَّفس بالاقتناع والتَّسليم، وكذلك الحوار القصصي وما فيه من مقاصد وأغراض وفوائد متعدِّدة، تأتي جميعها متناسبة مع المقصد القرآني العام، في هداية البشر إلى الصَّلاح.

ثانيًا: نموذج سورة القصص.

ومن سور القرآن الَّتي اشتملت على حوار النَّبيّ ﷺ مع المشركين سورة "القصص"، حيث اشتملت السُّورة على التَّنويه بشأن القرآن، والتَّعريض بأنَّ بلغاء المشركين يعجزون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فرد عليهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: 49]، كما أنَّ المشركين تحدوا النَّبيّ ﷺ أن يأتي بمثل ما أُوتِي موسى، فرد عليهم القرآن بأنَّهم كفروا بما أوتي موسى من قبل[1]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ [القصص: 48]، كما أنَّ سورة "القصص" تناولت اغترار المشركين على المسلمين بقوتهم ونعمتهم، فبينت أنَّ ذلك متاع الحياة الدُّنيا وما عند الله –تعالى– لهو خير وأبقى[2]، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ

(1) الطَّبري، **تفسير الطَّبري**، ج18، ص271.

(2) ابن سعد، **الطَّبقات الكبرى**، ج1، ص43.

وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: 60- 61].

ثالثًا: نموذج سورة الكهف.

أراد المشركون معرفة حقيقة صدق النَّبيّ ﷺ في دعوته، فذهبوا إلى أحبار اليهود لكونهم أهل كتاب مثل النَّبيّ ﷺ، فقال لهم أحبار اليهود سلوه عن ثلاث، **أوَّلها:** فتية ذهبوا في الدَّهر الأوَّل، **وثانيها:** رجل طوَّاف طاف مشارق الأرض ومغاربها، ثمَّ سلوه عن الرُّوح، فلو أجابكم فاتَّبعوه، فأتوا النَّبيَّ وسألوه عن الثَّلاثة فأخبرهم أنه يجيبهم، ولم يرجع الأمر إلى الله تعالى[1]، فنزل قول الله تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 23- 24].

وأجابهم النَّبي ﷺ عن سؤالهم الأوَّل، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:9]، وفي السُّؤال الثَّاني: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:83]، وجاء الجواب عن السُّؤال الثَّالث في سورة الإسراء في قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

وهنا تستوقفنا قصص سورة "الكهف"؛ لما فيها من حوارٍ يُمكننا من خلاله تأسيس واستنباط الآداب الَّتي يجب أن تتوفر في الحوار، ولا عجب في ذلك، فلفظ (الحوار) لم يرد في القرآن الكريم إلَّا في ثلاثة مواضع، ورد في سورة الكهف اثنان منها، في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

(1) الطَّبري، **تفسير الطَّبري**، ج18، ص264.

أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37]، فجاء في هذه القصص المبادئ السَّامية لتنظيم الحوارات بين النَّاس، وتحويلها إلى جدالٍ بالَّتي هي أحسن، وجعلها هدفًا للوصول إلى الحقِّ، ومنفعة النَّاس(1).

وهنا يمكن القول إنَّ آيات سورة الكهف يمكن أن نستقي منها الآداب الَّتي تضمن نجاح الحوار، وتكفل له استمراريته، فالحوار لا يكون مثمرًا إلَّا إذا كان المحاور يتحلَّى بمجموعة من الآداب والأخلاق، فالغرض من الحوار في النِّهاية هو تحقيق التَّعاون بين المتناظرين في معرفة الحقيقة، وليس إظهار براعتهما وقوَّة إقناعهما، لذلك فإنَّ الالتزام بآداب الحوار هو المسلك الصَّحيح للوصول بالحوار إلى غايته.

وقد بيَّن ذلك لنا المولى –عزَّ وجلَّ– في سورة "الكهف" عندما تحدثت آياتها عن الاختلافات الَّتي نشأت عن فضول النَّاس لمعرفة عدد أهل الكهف، وما يتعلَّق بهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 22]، فقد اختلف القوم في عددهم، فقال قائلٌ منهم: ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال آخر: خمسة سادسهم كلبهم، فكان التَّعليق الإلهي بقوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ لأنَّه قولٌ بلا علم، ودليلٌ

(1) انظر: أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدِّين**، (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ، 2005م)، ج3، ص352، بتصرف.

على خطأه، ومنهم من قال: سبعة وثامنهم كلبهم، ولم يُعلق القرآن الكريم على هذا الرَّأي؛ ممَّا يدلُّ على أنَّه أقرب للصواب، والله –تعالى– أعلى وأعلم[1].

فجاء القول الفصل في هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، فلم يوضح القرآن الكريم عددهم، وأمرنا بترك هذا لعلمه سبحانه وتعالى، وهذا تعليمٌ ربانيٌّ بترك الانشغال بما ليس فيه فائدة للدين أو للناس، فجاء النَّهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، فهذا هو اشتغالٌ بما ليس فيه جدوى؛ كما قال ابن عاشور: "فَإِنَّ هَذَا مِمَّا لَا سَبِيلَ إِلَى إِنْكَارِهِ وَإِبَايَتِهِ لِوُضُوحِ حُجَّتِهِ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مُحْتَاجٌ إِلَى الحُجَّة فَلَا يَنْبَغِي الِاشْتِغَالُ بِهِ لِقِلَّةِ جَدْوَاهُ"[2].

ومن آداب الحوار ما يتعلَّق بترك المسائل الَّتي لا طائل من البحث فيها، وترك أمرها لله سبحانه وتعالى، ذلك الجدال الَّذي وقع بين الفتية أصحاب الكهف حول مدَّة نومهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19].

يقول ابن كثير: "يقول تعالى: كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم، وأشعارهم، وأبصارهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ولهذا تساءلوا بينهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، أي كم رقدتم: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ لأنَّ دخولهم إلى الكهف في أول النَّهار،

---

(1) الطَّبري، **تفسير الطَّبري**، ج15، ص217.

(2) ابن عاشور، التونسي (ت 1393هـ)، **التَّحرير والتَّنوير «تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، (تونس، الدَّار التُّونسية للنشر، 1984م)، ج15، ص294.

واستيقاظهم كان في آخر النَّهار، ولهذا استدركوا، فقالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، أي: الله أعلم بأمركم، وكأنَّه حصل لهم نوع من تردد في كثرة نومهم، فالله أعلم، ثمَّ عدلوا إلى الأهم في أمرهم، إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطَّعام والشَّراب، فقالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾[1]، وتفريع قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾، على قولهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾؛ لأنَّه في معنى: فدعوا الخوض في مدَّة اللبث، فلا يعلمها إلَّا الله، وخذوا في شيء آخر ممَّا يهمكم"[2].

3- التَّلطف في الحوار:

جاء في سورة الكهف، أن طُرق اللين والتلطف في الحوار، هي أجدى الطُّرق؛ للوصول بالحوار لنتائجه المرجوة، وقد جاء هذا الأدب في أكثر من موضعٍ فيها، منها وصية الفتية أصحاب الكهف لصاحبهم، عند خروجه لشراء الطعام، بقولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19].

ويقول الطَّبري: "وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، يقول: وليترفق في شرائه ما يشتري، وفي طريقة دخوله المدينة"[3]، وأمر الفتية لصاحبهم بالتَّلطف فيه التفات منهم إلى أهمِّيَّة اللطف واليسر -كوسيلة لنشر الدَّعوة، وخشية انكشاف أمرهم- أثناء البيع والشراء، وهي وصية مهمَّة وضرورية لكلِّ مسلم أنَّ الحياة لا تستقيم إلَّا بالتَّلطف، وهذا ما نستشعره في سؤال نبي الله موسى عليه السلام للعبد الصَّالح: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: 66]، فقد كان -عليه الصَّلاة والسَّلام- يُعلمنا آداب تلقِّي التِّلميذ للعلم من معلمه، فعلى الرَّغم من أمر الله -سبحانه وتعالى- لنبيه موسى عليه السلام

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، ج3، ص75.
(2) ابن عاشور، **التَّحرير والتَّنوير**، ج15، ص284.
(3) الطَّبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج17، ص639.

باتباع الخضر، إلَّا أن موسى تلطف معه واستسمحه بأسلوب اللين واللطف، بقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾[1].

والتَّلطف في الحوار يؤلف القلوب ويدفعها لطريق الحقِّ راضيةً، ولأنَّه يُعدُّ مطلبًا عامًّا فقد تحقق خلال محادثة المؤمنين الصَّالحين، وأظهر ذلك قول ذي القرنين: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 88]، ومعناه: "نقول له كلامًا طيبًا، يحفزه ويشجعه"[2]، والقول اليسر: هو الكلام الحسن، ووصف باليسر المعنوي؛ كونه لا يثقل سماعه[3]، ويقول السَّعدي: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، أي: وسنحسن إليه، ونلطف إليه بالقول، وتيسير المعاملة[4].

4- القوَّة في الحقِّ، وإنكار الباطل:

يستمد المحاور المسلم قوته من قوَّة الدِّين الإسلامي وعظمة الإيمان، وعلى ذلك فهو ينطلق من عزَّة في تواضع، وثبات على المبدأ في رفعة ولين، وكون المواطن الَّتي يُثار فيها الحوار قد تشوبها الشُّبهات، ويكثر خلالها التَّشكيك، خاصَّة إذا كان الحوار مع مُعاندٍ أو كافر، فلا بدَّ أن يكون المحاور على درجة عالية من الثَّبات على الحقِّ، وهذه القوَّة في الحقِّ هي ما دفعت الرَّجل المؤمن للتصدي لصاحب الجنتين بعزَّة وشموخ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا

(1) محمَّد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (القاهرة، أخبار اليوم، 1991م)، ص8955.
(2) المرجع سابق، ص8985.
(3) ابن عاشور، **تفسير التَّحرير والتَّنوير**، ج16، ص27.
(4) السَّعدي، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله (ت 1376هـ)، **تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسَّسة الرِّسالة، 1420هـ)، ص485، بتصرف.

أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 34– 36].

وهذا التَّكبر والبطر ممَّا يُخيل لذوي الجاه والسُّلطان أنَّ قيمتهم الَّتي يُعاملون بها في الدُّنيا، ستُحفظ لهم في الدَّار الآخرة، ولكنَّ العكس بالعكس، فنجد العبد الفقير الَّذي لا مال له ولا جنة مُعتزًّا بإيمانه، مُنكرًا على صاحب الجنَّتين غروره وبطره، وكبره عامدًا إلى تذكيره بمنشئه من ماء وطين، وتوجيهه إلى ما يجب عليه نحو المنعم سبحانه وتعالى، وأنَّه لخيرٌ له أن يرجو ما عند الله ما هو أفضل من جنته وثماره[1].

لذا ينبغي على العبد المؤمن أن يكون عزيزًا رغم ما قد يواجهه من تحدِّيات صعبة، قويًّا في الدِّفاع عن الحقِّ ودين الله سبحانه وتعالى، ودافعًا للباطل بدون ضعفٍ أو ذلٍّ لأي من المغريات، فما عند الله –تبارك وتعالى– خيرٌ وأبقى.

(1) محمَّد الأمين الشِّنقيطي، **تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان**، تحقيق: سيد محمَّد ساداتي الشِّنقيطي، (مصر، دار الهدي النَّبوي، ط1، 1426هـ، 2005م)، ص557.

المبحث الثَّالث: أشكال ومقوِّمات الحوار النَّبوي ومعاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى.

تتجلَّى في سيرة النَّبيّ ﷺ العديد من أشكال الحوار، والَّتي في مجملها تقدِّم دروسًا قيمة يمكن الانتفاع بها، وكان هذا منذ بداية الدَّعوة النَّبوية الكريمة، والَّتي انقسمت الحوارات فيها إلى أشكال استُثمرت فيها قيم المعرفة والتَّعارف مع الآخر، وهي:

أوَّلًا: أشكال الحوار:

أ- الحوار لدعوةٍ وكشف شبهة:

جاء الإسلام برسالة رحمة للإنسانية، وشعلة هداية للعالم كافَّة، بغضِّ النَّظر عن أجناسهم أو عهودهم؛ فقد كانت رسالته ﷺ رحمةً للعالمين، ودعوة للحوار، وقد كانت غاية الحوار مع غير المسلمين هي دعوتهم إلى اعتناق الإسلام، وكشف الشُّبهات، فهذه مُهمَّةُ الأنبياء وورثتهم من العلماء والدُّعاة، يقول الحقَّ تعالى في ذلك: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 102]، وقال ابن كثير: "وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ فرْقَة مِنَ الأمَّة مُتَصَدِّيَةٌ لِهَذَا الشَّأْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأُمَّةِ بِحَسْبِهِ"[1].

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **تفسير ابن كثير**، تحقيق: محمَّد حسين شمس الدِّين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ)، ج2، ص78.

وقد حاور النَّبيُّ ﷺ وصحابته الكافرين؛ لتعريفهم بدين الله –تعالى– ودعوتهم إليه، وإخراجهم من ظُلمة الكفر إلى نور الإيمان، وكانت دعوته ﷺ في البداية سرًّا، ثمَّ جهر بها، وضرب رسولنا الكريم ﷺ أعظم مثالٍ على الدَّعوة بالحوار الإقناعي، حين أراد دعوة قومه إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ، فقال لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟»، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك كذبًا قط، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[1]، وكأنَّه يضرب لنا مثلًا لأعظم محاور يستطيع أن يستخدم أدوات الإقناع والأدلة والبراهين والشَّواهد للدعوة[2]، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشُّعراء: 214– 217]، الأمر الَّذي جعل قبيلة قريش ترتبك من تلك الدَّعوة الجديدة؛ فأجمعت أمرها وأرسلت عتبة بن ربيعة إلى النَّبيّ ﷺ يفاوضه.

فقد روي أنَّ عتبة بن ربيعة جلس إلى النَّبيّ ﷺ فقال: "يا ابن أَخِي، إنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ علمتَ مِنْ السِّطَة فيِ الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ أَتَيْتَ قومَك بِأَمْرِ عَظِيمٍ فرَّقت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وسفَّهتَ بِهِ أحلامَهم وعِبتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وكفَّرت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أعرضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ يَا أبا الوليد، أسمع»، قال: يا ابنَ أَخِي، إنْ كنتَ إنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جئتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، ...، حتَّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ،

---

(1) بدر الدِّين العيني، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى (ت 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (بيروت، دار إحياء التُّراث العربي، د، ت)، ج19، ص102.

(2) عبد الله، سليمان التوم دشاش، **تجليات منهج الحوار في القرآن الكريم والسُّنَّة وأثرها في تقرير عقيدة التَّوحيد**، مجلَّة العلوم الإسلاميَّة واللغة العربية، ع1، جامعة غرب كردفان– كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة واللغة العربية، 2015م، ص169.

قَالَ: «أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَاسْمَعْ مِنِّي»؛ قَالَ: أَفْعَلُ. فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾»، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خلفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثمَّ انتهى رسول الله ﷺ إلى السَّجدة منها، فسجد، ثمَّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك"[1].

وفي هذا الحديث يتبين موقف النَّبيّ ﷺ من حسن الاستماع والإنصات في سبيل الدَّعوة، ودرءِ الشُّبهات، وكان الرَّسول دائمًا الطَّرف الأكثر إقناعًا، بقوَّة حُجته، وسلامة منطقه، وكان ﷺ يترك لهم الخيار في تحديد ما يرونه دون إرهاب، أو تخويف، أو إجبار، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: 72].

وقد ارتكزت موضوعات حوار النَّبيّ ﷺ في دعوة غير المسلمين على التَّعريف بالله –تعالى– وبالإيمان ونواقضه، عملًا بقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: 24– 26]، فكان حوار الدَّعوة يتفرد بخصائص تميزه عن غيره من أشكال الحوار، ومن أهمّ تلك الخصائص:

1. أنَّ المسلمين في عهد النَّبيّ ﷺ أخذوا بزمام المبادرة في ذلك الشَّكل من الحوار؛ فهو استجابة لطبيعة دينهم، وكان يتحقق ذلك في استقبال المسلمين للكافرين والكتابة لهم

(1) ينظر: ابن هشام، أبو محمَّد، جمال الدِّين (ت 213هـ)، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرَّؤوف سعد، (شركة الطباعة الفنية المتحدة، (د، ت)، ج1)، ص261.

وغشيتهم في محافلهم وبيوتهم لدعوتهم، فالدَّعوة والبلاغ كانا ولا زالا واجبًا على المسلم بمقتضى إسلامه.

2. كان هدف النَّبيّ ﷺ من حوار الدَّعوة هو إقناع الآخرين بأنَّ الدِّين الإسلامي هو دين الله الَّذي لا يُقبل من العباد غيره.
3. أنَّ العلاقات الشَّخصية هي الغالبة في حوار الدَّعوة، فكانت بعيدة عن الصِّفة الرَّسمية، والَّتي كانت هي الغالب في حوار التَّعامل والتَّعايش[1].

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، لا سيما وهو النَّبيّ الكريم باعتراف وإجماع الجميع على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم، فهذا هو ورقة بن نوفل، وهو أحد الأربعة الَّذين اجتمعوا في يوم احتفال قريش بصنم من أصنامهم، وتحدَّثوا فيما بينهم، واجتمعت كلمتهم على أنَّ قريشًا انحرفت عن دين إبراهيم عليه السلام، وأنَّه لا معنى لعبادة الأصنام، وانطلقوا يبحثون عن دين إبراهيم الصَّحيح، وهؤلاء هم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، فأمَّا ورقة فقد تنصَّر وقرأ ما وجد من كتب الأقدمين، فاستقر على النَّصرانية، فكان من علمائها[2].

وعندما نزل الوحي على النَّبي ﷺ في غار حراء بالرِّسالة، كان ورقة شيخًا كبيرًا قد عَمِي – كما قال الذَّهبي–، فذهبت إليه خديجة وأخبرته بما جرى للنبي ﷺ في غار حراء، وكيف جاءه جبريل عليه السلام، كما أخبرها الرَّسول ﷺ، فقال ورقة: هذا النَّاموس الأكبر الَّذي كان يأتي لموسى، يا ليتني فيها

---

(1) أبو بكر الخلال، البغدادي الحنبلي (ت 311هـ)، **الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر**، تحقيق: الدكتور يحيى مراد (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م)، ص96.

(2) ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية**، ج1، ص307.

جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟»، قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلَّا عودي، وإن يُدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[1].

وعلى هذا، يُمكننا القول إنَّ رسول الله ﷺ علَّمنا أفضل طريقة للتعامل مع غير المسلمين، فقد أظهر لنا أنَّه لا يكفي الاعتراف بوجود الآخر، ولكن علينا أيضًا أن نحترمهم، وهذا الأمر لم يكن اجتهاديًّا، بل كان وحيًا وأمرًا إلهيًّا، أتى متَّفقًا تمامًا مع ما ورد في كتاب الله الكريم، فيما يتعلَّق بالتَّعامل مع المعارضين والمخالفين في الإيمان والدِّين والعقيدة.

ب- حوار التَّعايش والتَّعامل مع الآخر:

يتَّضح حوار التَّعايش عند هجرته ﷺ من مكَّة إلى المدينة المنورة من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وجعل المسلمين أمَّة واحدة من أي عرق هم ومن أي بلد جاءوا، وكتابة وثيقة بين المسلمين أنفسهم من جهة، وبينهم وبين أهل المدينة من جهة أخرى، تلك الوثيقة نصَّت على موضوع الوحدة بين المسلمين، وقد كان فحواها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ محمَّد النَّبيّ الأمي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاس، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ،.....»[2].

ولنا في تتبع سيرة رسولنا الكريم ﷺ قصصٌ وعبرٌ ومواقف لها من العلامات والدَّلالات الكثير، فنجد في قصَّته ﷺ مع الغلام النَّصراني "عدَّاس" ابن نينوى، الَّذي قدَّم للنبي ﷺ طبقًا يحوي

(1) رواه البخاري، **باب: كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ**، ج1، ص7، ح (3).

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنِّهاية** (بيروت، دار الفكر، 1986م)، ج3، ص224.

عنبًا بناء على أوامر مولياه عتبة وشيبة ابني ربيعة، بعد ما لاقاه ﷺ من تعنتٍ وإيذاء من أهل الطَّائف، فكان إسلام "عدَّاس" ابن نينوى إثلاجًا لقلب رسول الله ﷺ، وإعلامًا له بأنَّ بعد العُسر يسرًا.

وممَّا جاء في السِّيرة: "فلمَّا رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة، وما لقي؛ تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له عدَّاس، فقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب، فضعه في هذا الطَّبق، ثمَّ اذهب به إلى ذلك الرَّجل، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس، ثمَّ أقبل به حتَّى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثمَّ قال له: كُلْ، فلمَّا وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: «باسم الله»، ثمَّ أكل، فنظر عدَّاس في وجهه، ثمَّ قال: والله إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عدَّاس، وما دينك؟» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرَّجل الصَّالح يونس بن متى»، فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبي»[1].

فأكبَّ عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أمَّا غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عدَّاس قالا له: ويلك يا عدَّاس! ما لك تقبِّل رأس هذا الرَّجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيءٌ خيرٌ من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلَّا نبي، قالا له: ويحك يا عدَّاس، لا يصرفنك عن دينك، فإنَّ دينك خيرٌ من دينه". فهذا هو نبينا الكريم ﷺ لم يتوانَ عن المثابرة لإيصال الرِّسالة، ولم يمنعه عنها ما وجده من جُهدٍ ومشقةٍ من

(1) أبو بكر البيهقي، **دلائل النُّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة**، ص78.

أهل الطَّائف، وهذا أثره عظيمٌ في تعليم الأمة الإسلاميَّة الصَّبر والتَّحمل، والمثابرة، في سبيل الدَّعوة إلى الله سبحانه وتعالى[1].

وهنا يمكن القول إنَّ رسول الله ﷺ سعى إلى بناء الوحدة بين المسلمين، وأولى ذلك عناية كبيرة، وذلك بغرس الألفة في نفوس المسلمين وغير المسلمين، فعندما رفض الكافرون الدُّخول في دين الإسلام؛ اتَّخذ رسول الله ﷺ في دعوتهم مبدأ التَّعايش السِّلمي ونبذ العنف، وأقرَّ حُسن التَّعامل والجوار، والعدل في المعاملة، وهو حوار فرضته الشَّريعة الإسلاميَّة، وأملته طبيعة التَّعايش بين البشر، وذلك بحكم الجوار والمصالح المتبادلة بين المسلمين وغيرهم.

ثانيًا: موقف قريش والمشركين من الحوار النَّبوي

بتمام النَّبيّ ﷺ عامه الأربعين وهو في غار حراء جاءه أمين الوحي جبريل عليه السلام بوحي الله تعالى، ويكون بذلك بدء الوحي في يوم الاثنين من شهر رمضان المبارك، يستدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ...﴾ [البقرة: 185].

ولم يكن ذلك بالأمر الهين آنذاك؛ لكون دعوة النَّبيّ ﷺ دعوة للتغيير في العقيدة المتوارثة لدى قريش والعرب، ولذا فقد بدأ الدَّعوة في السِّر أوَّل الأمر، فلمَّا اكتمل عدد المسلمين أربعين

(1) ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، ج1، ص421.

بدخول عمر بن الخطَّاب ﷺ الإسلام؛ تمَّ الجهر بالدَّعوة، والَّتي واجهها أهل قريش بالعنف، لمَّا عز عليهم من أن يناوئ المعتقد الجديد معتقدهم ويحيلهم عن عبادتهم الَّتي دأبوا عليها سنين طوال[1].

وكان الجهر بالدَّعوة بعد ثلاث سنوات أمضاها رسول الله ﷺ بعد بعثته يدعو النَّاس إلى الإسلام سرًّا، وكان المسلمون يؤدون صلاتهم في السِّر، إلى أن جاء الأمر الإلهي لينذر قومه، ويستدل على ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعراء: 214].

وبعدما جهر النَّبيّ ﷺ بالدَّعوة اشتدَّت مقاومة قريش له، وخاصَّة عندما عاب الرَّسول ﷺ آلهتهم، وأنكر عليهم قصور عقلياتهم عن التَّجاوب مع الدَّعوة إلى وحدانية الله تعالى، كما سخر من إصرارهم على وثنيتهم، فردَّ القريشيون على ذلك بالإساءة إلى الضُّعفاء من المسلمين الَّذين آمنوا واهتدوا، وقاموا بتعذيبهم إلى حد أن بعضهم تحمل من العذاب ما ينوء بمثله أعتى الرِّجال، فصبّرهم الرَّسول ﷺ على العذاب ووعدهم بالحسنى[2].

وبادر القريشيون إلى الأساليب الَّتي تحطُّ من النَّبيّ ﷺ أمام الرَّأي العام، أرادوا بذلك ابتذال شخصيته، وكان لأسلوبهم ذلك أثرٌ كبيرٌ في إقبال النَّاس على الإسلام، فاغتنم النَّبيّ ﷺ ذلك، فأنزل الله –تعالى– قرآنه على نبيِّه ﷺ بأن يجهر بدعوته، وأنَّ الله –تعالى– سيكفيه كيد المستهزئين، ويستدلُّ على ذلك من قول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: 94–97].

---

(1) انظر الذَّهبي، **سير أعلام النُّبلاء**، ج1، ص136.

(2) انظر: ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، ج1، ص274.

وعليه فإنَّ الله –تعالى– قد ضمن للنبي ﷺ الكفاية والحماية من كيد المستهزئين، على الرَّغم من استمرار قريش في كيدها ومحاربتها للإسلام، إلَّا أنَّ ذلك لم يمنع دعوة الإسلام من الانتشار، ولم يمنع النَّاس من دخول الإسلام، ورد الله كيدهم في نحورهم؛ لذا فقد بيَّن الله –تعالى– للنبي ﷺ خطة العمل المستقبلية، فأمره أن يأخذ بالصَّفح الجميل والإعراض عن المشركين، وألَّا يحزن عليهم ولا يضيق صدره بما يقولون، وأنَّ الله –تعالى– سيجازيهم على كلِّ صغيرة وكبيرة[1].

وقد استخفَّ أهل قريش بدعوة النَّبيّ ﷺ في بادئ الأمر، ولم يقدِموا على قتل النَّبيّ والمسلمين معه، بل اكتفوا بتعذيب الضُّعفاء منهم؛ لإثنائهم عن الدِّين الجديد، وعمدوا إلى المفاوضات مع أبي طالب عمِّ النَّبيّ، فمشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: "يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَنَكْفِيكَهُ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ"[2].

ويتَّضح من ذلك أن مشركي قريش لم يكونوا يرغبون في توريط أنفسهم في مواجهة بني هاشم، وحاولوا حسم الموقف من خلال المفاوضات، وزعزعة إيمان من أسلم وثنيه عن الدِّين الجديد، كما أدرك المشركون أن الاعتداء على شخص النَّبيّ ﷺ سوف يتسبَّب في صراع مسلح لم يعدُّوا له

(1) الطَّبري، **تفسير الطَّبري**، ج17، ص156.

(2) ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج4، ص121.

العدَّة، وليسوا على يقين بنتائجه، خصوصًا لما كان لبني هاشم من علاقات ومن تحالفات مع بعض القبائل، مثل حلف المطيبين، وحلف عبد المطلب مع خزاعة والَّتي كانت تقطن خارج مكَّة.

كما أنَّ الحرب لو نشبت فقد توجب التَّمكين للنبي ﷺ من نشر دعوته، ومن أجل هذا كلِّه فقد آثر القريشيون الابتعاد عن الحرب واتِّباع أساليب تضعف من موقف محمَّد ﷺ؛ فأخذوا ينهون النَّاس عن الالتقاء بالنَّبيّ ﷺ، وألَّا يسمعوا ما جاء به من القرآن، ويستدلُّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 26][1].

كما اتَّبعوا أسلوب الاستهزاء والسُّخرية بالنَّبيّ ﷺ، وإلصاق التُّهم الباطلة به؛ بهدف التَّأثير على شخص النَّبيّ ﷺ وهزمه نفسيًّا، وجعله يعيش عقدة الضِّعة؛ لربما يتخلَّى عن ذلك الأمر من نفسه، كما عملوا على الحطِّ من كرامة النَّبيّ ﷺ وابتذال شخصيته بهدف تنفير أصحاب النُّفوس الضَّعيفة من متابعته وصرفهم عن الدُّخول في الإسلام[2].

ثالثًا: الملامح العامَّة لآداب الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ

إنَّ للحوار في عهد النَّبيّ ﷺ آداب متشعبة، يصعب الإلمام بها، إلا أنَّه يمكن ذكر أهمها، كما يلي:

- **المحاورة بالحسنى:** فمن أهمِّ ما يتوجه إليه الحوار الالتزام بالقول الحسن، وهو أمر قرآني؛ لقوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا

(1) الطَّبري، **تاريخ الطَّبري**، ج2، ص65.

(2) انظر: بدر الدِّين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 2009م)، ج3، ص381.

بِالَّذي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيطان يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيطان كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53]. فالدَّاعي الحقُّ ينأى بنفسه عن الاستخفاف بالغير، فلا يطعن ولا يجرح الغير، ولا يقوم باستفزازه، ويلحق بذلك البعد عن أساليب التَّعسف في الحديث، أو التَّعمد إيقاع الخصم في الحرج، إنَّما استنادًا إلى الحُجَّة والبينة الدَّامغة، فالغاية من الحوار هي كسب القلب، لا كسب الموقف[1].

وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها: "إنّ اليَهُودَ أتَوُا النَّبيّ ﷺ، فَقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: «وعلَيْكُم»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ علَيْكُم، ولَعَنَكُمُ اللَّهُ وغَضِبَ علَيْكُم، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بالرِّفْقِ، وإيَّاكِ والعُنْفَ، أوِ الفُحْشَ»، قَالَتْ: أوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟! قَالَ: «أوَلَمْ تَسْمَعِي ما قُلتُ؟ رَدَدْتُ عليهم، فيُسْتَجَابُ لي فيهم، ولَا يُسْتَجَابُ لهمْ فِيَّ»"[2].

- **التَّواضع بالقول والفعل:** من آداب الحوار كذلك، تجنب الكبر، فيعاب على بعض النَّاس أنَّهم إذا حاورا غيرهم سخروا منهم، ولم يكترثوا بهم، وعلت وجوههم علامات الكبر، بل إنَّ من التَّواضع ما كان عليه النَّبيّ ﷺ؛ إذ يستمع إلى الآخرين ولو كانوا من ألد الأعداء، وكان لا يستخدم ألفاظًا تدلُّ على التَّعالي والكبر، فكان ﷺ حكيمًا في قوله، متواضعًا، بشوشًا[3].

---

(1) انظر: الطَّبري، محمَّد بن جرير، **تفسير الطَّبري "جامع البيان عن تأويل آيات القرآن"**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتَّوزيع والإعلان، 2001م)، ج14، ص400.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا» ج8، ص12، ح: (6024).

(3) ابن حميد، صالح بن عبد الله، **أصول الحوار وآدابه في الإسلام** (مصر، دار المنارة، 1994م)، ص26.

- **حُسن الاستماع:** من آداب الحوار إحسان الاستماع إلى الغير، فكثيرًا من النَّاس من يرفض الإصغاء إلى غيره، ويكون همُّه منصبًّا على القول فقط، دون المناوبة بين دور السَّامع والمتكلم، بأن يكون متحدِّثًا فقط، وهذا الصنف قلَّ ما يجدُ من يستمع له؛ فالنَّاس تفضِّل المستمع الجيد على المتكلم الجيد، وحسن الاستماع يكون بالأذن، وطرف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه[1].
- **العدل والإنصاف في القول:** يجب على المحاور أن يكون منصفًا في قوله، فلا ينكر حقًّا، ولا يُعلي باطلًا، بل عليه أن يبدي إعجابه بالقول الحقِّ، ويقبل الصَّحيح من الأدلة والمعلومات الَّتي تصدر عن محاوره؛ وذلك هو الإنصاف في الحوار، والَّذي له أثر عظيم في تقبل الطَّرف الآخر لما يُلقيه المحاور، وبما يُضفي على الحوار من موضوعية بعيدًا عن تحقيق انتصارات الموقف، والتَّعصب الأعمى، وعدم العدل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8][2].
- **الحلم والصَّبر:** يتعين أن يتوفر في المحاور صفات الصَّبر والحلم، فلا يغضب لأتفه الأمور، فيكون ذلك سببًا للنفور منه، كما أنَّ الغضب لا يقنع الخصم، فإقناع الخصوم يكون بالحلم والصَّبر، وهُما من صفات المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وقد أمر

---

(1) انظر: جاد الرب، محمَّد أحمد، **فن وأدب الحوار في القرآن الكريم**، مجلَّة دراسات المستقبل، ع6، مج1، مركز دراسات المستقبل، 2014م، ص119.

(2) البيهقي، أحمد بن الحسين، **أحكام القرآن للشافعي**، تقديم: عبد الغني عبد الخالق، محمَّد زاهد الكوثري (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1994م)، ج2، ص194.

النَّبيّ ﷺ بترك الغضب، عندما قال له رجل: أوصني يا رسول الله، فقال النَّبيّ ﷺ، (لا تغضب) وكررها مرارًا، ومن أعلى مراتب الصَّبر مقابلة الإساءة بالإحسان؛ فلذلك أثر عظيم على المحاور، فنجد كثيرٌ من النَّاس اهتدوا بحلم محاوريهم، وحسن خلقهم، واحتمالهم للأذى، ومقابلة الإساءة بالإحسان[1].

ومن النَّماذج التَّطبيقية لما سلف من آداب وملامح الحوار في العهد المكِّي، يحسن بنا أن نعرض حوار جعفر بن أبي طالب في الحبشة، فبعدما علم أهل قريش بما كان من هجرة صحابة النَّبيّ ﷺ إلى الحبشة؛ فبعثوا نفرًا منهم إلى الحبشة على رأسهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وجمعوا للنجاشي ولبطارقته الهدايا، ولم يدعوا منهم رجلًا إلَّا وهيأوا له هدية على حدة، وقالوا لهم: ادفعوا إلى كلِّ بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثمَّ ادفعوا إلى النَّجاشي هداياه، ففعلوا ذلك وقدموا إلى الملك، فقالوا له: أيُّها الملك، إنَّ فتية من سفهائنا فارقوا ديننا ولم يدخلوا في دينك وأتوا بدين جديد مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك[2]؛ فجمعهم النَّجاشي ليسمع قول الطَّرفين، فقال جعفر بن أبي طالب: أيُّها الملك، كنَّا أقوامًا على الشِّرك، وعبادة الأوثان، نأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحلُّ المحارم، فبعث الله لنا رسولًا من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الرَّحم ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم ولا نعبد غير الله، فطلب النَّجاشي أن يقرأ عليه شيئًا ممَّا جاء به النَّبيّ ﷺ، فقرأ عليهم قول الله تعالى: ﴿كهيعص* ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التحذير من الغضب، ج8، ص28، ح: (6116)؛ جاد الرَّب، محمَّد أحمد، **فن وأدب الحوار في القرآن الكريم**، ص201– 202.

(2) ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، ج3، ص84.

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:1– 4]. فأمنهم النَّجاشي لِما رأى من صدق قولهم وجور ما قال به أهل قريش، وقال النَّجاشي: إنَّ هذا والَّذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، فانطلقوا راشدين[1].

(1) أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد (ت 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون (بيروت، مؤسَّسة الرِّسالة، 2001م)، ج37، ص172.

رابعًا: مقوِّمات الحوار في عهد النَّبيّ ﷺ وآثارها الحضاريَّة.

من خلال تتبع سيرة النَّبيّ ﷺ، يمكن الاهتداء إلى بعض مقوِّمات المحاورات الَّتي أجريت في عهده ﷺ، ومن أبرز تلك المقوِّمات:

1. الإعداد الكامل للحوار:

إنَّ الحوار مسألة فطرية، لا يمكن لأحد أن يستغني عنها؛ بسبب ارتباط حياة الإنسان كفرد ببقية الأفراد الَّذين يعيشون معه، وذلك يتطلَّب عديدًا من الضَّوابط؛ حتَّى يحقق الحوار مبتغاه، ولأنَّ كلَّ محاور يؤمن بمعتقده، فإنَّ هذا يتطلب إعدادًا كاملًا للحوار وسبل الإقناع، وهذا ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام، فقد كانوا على علم بأمور دينهم، لا سيما وأنَّهم تربوا في مدرسة النُّبوة، فالنَّبيّ ﷺ هو معلمهم وملهمهم وقائدهم، وكان حواره ﷺ دائمًا عن فصاحة لسانٍ، وحُجة قوية دامغة[1].

ولعلَّ من أبرز دلالات ذلك؛ حوار جعفر بن أبي طالب مع النَّجاشي، وممَّا ورد فيه: "أيُّها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام،... حتَّى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده،...، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألَّا نُظلم عندك أيُّها الملك، فقال له

(1) أحمد، منى محمَّد سليم، **إبراز محاسن شريعة النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم من خلال الحوار**، مجلَّة البحوث والدِّراسات الشرعية، مج3، ع21، عبد الفتاح محمود إدريس، 2014م، ص304.

النَّجاشي: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم! فقال له النَّجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص)، فبكى والله النَّجاشي حتَّى اخضلت لحيته...."[1].

2. حسن الاستهلال في فتح باب الحوار:

إنَّ حسن استهلال الخطاب من الفطنة، فمن خلاله يتمُّ جذب المستمع، فالحوار تجربة لإثبات الحقِّ والوصول إلى نقاط اتِّفاق في مساحات مشتركة للتعاون والتَّعايش، وحسن الاستهلال للحوار من أهمِّ معالم المنهج الَّذي يكفل نجاح الحوار، لذا نجد التَّنويع القرآني في النَّداء، فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس﴾ [النِّساء: 1]، وقال في خطاب نبي الله موسى لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ [البقرة: 54]، وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ [الزُّمر: 53]، فلكلِّ خطابٍ استهلالٌ يجذب المستمع ويسترعي انتباهه، ويدلُّ على فطنة القائل ورجاحة عقله، وعلى ذلك كان حوار النَّبيّ ﷺ[2].

3. الانطلاق من الأمور المشتركة:

من أهمِّ معالم نجاح الحوار؛ الانطلاق من النِّقاط المشتركة، أو من الرُّؤى والأفكار الَّتي يتَّفق عليها المتحاورون لتكون لهم أرضية مشتركة، ولنا في نبي الله إبراهيم عليه السلام أسوةٌ حسنة، حين جادل أحد ملوك عصره، وفقًا لما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

---

(1) ملحق رقم1، الرِّسالة كاملة؛ أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج37، ص172.

(2) العازمي، موسى بن راشد، **اللؤلؤ المكنون في سيرة النَّبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النَّبوية»**، تحقيق: محمَّد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس، (الكويت، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2011م)، ج1، ص379.

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258][1].

فأهل الباطل غايتهم من المجادلة دحض الحقّ، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، والله –تعالى– عليمٌ بمثل هؤلاء، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56]، ويقول ابن تيمية (ت 728هـ): "إنَّ كثيرًا من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام، ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها"[2].

خامسًا: أثر معاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين والشُّعوب الأخرى.

إنَّ الدِّين الإسلامي هو دين السَّلام والسِّلم؛ حيث جاءت الشَّريعة الإسلاميَّة بهدف توجيه الشُّعوب لتعيش في سلام، وأقرَّ الإسلام مبدأ الأخوَّة بين النَّاس، ودعا إلى إنهاء روح التَّعصب، وغرس روح التَّسامح في النُّفوس، وأمر بالولاء والوفاء، وحرَّم العدوان، وطالب باحترام المواثيق والعقود، والسَّعي لإلغاء القهر والظُّلم والفساد والبغي، والدَّعوة إلى الأخلاق النَّبيّلة لتحقيق السَّلام، قال

(1) أبو عزة، عبد الله، **حوار الإسلام والغرب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م)، ص26.

(2) ابن تيمية الحراني (ت 728هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، (السُّعوديَّة، دار العاصمة، 1999م)، ج1، ص254.

تعالى: ﴿إِنَّ الدِّين عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19][1].

وتتجلَّى آثار تطبيق معاملات النَّبيّ ﷺ مع غير المسلمين في وقت السِّلم، من خلال عقده الحلف تلو الحلف، والصُّلح تلو الصُّلح مع العديد من القبائل العربية، وكانت البداية بصلح الحديبية، عندما خرج النَّبيّ ﷺ وصحابته قاصدين البيت الحرام، فأحرم بالعمرة؛ ليكون في هذا دلالة لقريش على أنَّ النَّبيّ ﷺ لا يريد قتالًا، فلمَّا وصل عسفان، خرجت لهم قبيلة قريش لإثنائهم، وأرسلوا مبعوثهم سهيل بن عمرو إلى النَّبيّ ﷺ؛ فعُقِد صلح الحديبية، والَّذي أسهم في نشر الدِّين الإسلامي في بلاد الحجاز، وقد استثمر النَّبيّ ﷺ هذه الفترة في إرساء قواعد الدِّين الإسلامي؛ بنشر الدَّعوة، وإرسال الرُّسل إلى شيوخ وقبائل وملوك الممالك والقبائل الأخرى[2].

وقد كان نهج النَّبيّ ﷺ نشر الدَّعوة الإسلاميَّة عن طريق الحوار البنَّاء، من خلال تعريف القبائل والشُّعوب بالدِّين الإسلامي، في ظلِّ المعارضة ونشر الأكاذيب عن الإسلام؛ لذا فقد أرسل رسول الله ﷺ البعثات والرَّسائل الفردية والجماعية؛ لنقل التَّصور الصَّحيح للإسلام وقيمه السَّامية، ومبادئه وأخلاقه العظيمة، ونجد أنَّ هذه الرَّسائل والبعثات قد لاقت ترحابًا من أهل بعض القبائل تارة، وفي تارةً أخرى كان يلاقي المبعوثون التَّكذيب والتَّنكيل، وفي إرسال هذه البعوث تأكيدٌ قويٌّ على أنَّ الدِّين الإسلامي لم ينتشر بقوَّة السَّيف، وإنَّما بالدَّعوة الحسنة وحسن الحوار.

---

(1) حسين، سالم خليفة، **الإسلام دين السَّلام والسَّماحة**، مجلَّة الجامعة الأسمرية الإسلاميَّة، س6، ع12، الجامعة الأسمرية الإسلاميَّة، 2009م، ص704.

(2) الطَّبري، محمَّد بن جرير، **تاريخ الطَّبري "تاريخ الرُّسل والملوك، وصلة تاريخ الطَّبري"**، (بيروت، دار التُّراث العربي، 1387هـ)، ج3، ص43.

ونجد قول السِّير "توماس أرنولد" فيما يتعلق ببعوث ورسائل النَّبيّ الكريم ﷺ، إذ يقول: "إنَّ إخفاق بعض بعثات ورسائل النَّبيّ ﷺ دليلٌ قويٌّ على أنَّ ما بُذل من جُهدٍ في سبيل نشر الدَّعوة الإسلاميَّة كان ذا صبغة تبشيرية خالصة، بعيدة كل البُعد عن القوَّة والإرغام"[1].

وقد كان الرَّسول ﷺ يسعى في مكَّة لاستغلال مواسم الحجِّ؛ ليعرض الدَّعوة الإسلاميَّة على القبائل العربية، وذلك بعد وصول الدَّعوة إلى طريق مسدود مع قومه من أهل مكَّة، فاتَّخذ الرَّسول من دار الأرقم بن أبي الأرقم مقرًّا له لتسهيل الاتِّصال بالحجاج؛ وذلك لموقعها المميز على الصَّفا، فكان هذا من حُسن اختيار النَّبيّ ﷺ؛ لاطِّلاعه على أماكن إقامة القبائل القادمة إلى مكَّة في موسم الحج. وقد مرَّت دعوته ﷺ للقبائل بعدد من المراحل، كان أبرزها مرحلة الدَّعوة السِّرية (609م– 612م)، وقد تميزت هذه المرحلة باقتصار الدَّعوة على أشخاص محدَّدين من الأقرباء والأصدقاء الموثوقين سرًّا، وقد أسلم في هذه المرحلة قرابة تسعة وخمسين (59) شخصًا على اختلاف الرِّوايات[2]، ثمَّ كانت المرحلة الثَّانية وهي مرحلة الدَّعوة العلنية (613م)، والَّتي انتهت بهجرة الرَّسول ﷺ إلى المدينة المنوَّرة، وفي هذه المرحلة عرض الرَّسول ﷺ الدَّعوة على عشيرته الأقربين من أبناء عمومته؛ امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(1) سير توماس أرنولد، **الدَّعوة الى الاسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلاميَّة**، (مصر، مكتبة النَّهضة المصرية، 1971م)، ص38.

(2) يُنظر في أسماء المسلمين الأوائل وعشائرهم: الغضبان، منير محمَّد، **المنهج الحركي للسيرة النَّبوية**، (المنصورة، دار الوفاء، 2008م)، ص21– 24، وللمزيد يُنظر: ابن إسحاق، **السِّير والمغازي**، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، 1987م)، ص137– 144.

[الشُّعراء: 214–215][1]، والأرجح أن المقصود بالأقربين في الآية الكريمة هم أولاد عبد مناف من بني هاشم، وبني عبد المطلب، وبني نوفل، وبني عبد شمس[2].

ثمَّ كانت الفترة الثَّانية من الدَّعوة العلنية، بعرض الدَّعوة على أهل مكَّة عامَّةً، عندما نزل قول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]، إلَّا أنَّ زعماء المشركين أصرُّوا على استهزائهم بالرَّسول وصحابته، فلمَّا زاد تماديهم في الشَّر، أنزل الله قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 95]، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصَّفا داعيًا أهل مكَّة للإسلام، وجعل ينادي بطون قريش بطنًا بطنًا، فلم يبالوا إلى دعوته، وقابلوها بالاستخفاف، ظنًّا واعتقادًا منهم أنَّ دعوته مثلها مثل دعوة بعض الأحناف الَّذين تواجدوا قبل الإسلام في مكَّة[3]، والَّذين لم يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، ومن أمثلتهم ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهما.

وكانت قريش تهتم بالأحناف أكثر من اهتمامها بالمسلمين في المرحلة السِّرية للدعوة؛ وذلك لأنَّ الحنفاء كانوا يشككون في الأصنام والأوثان علانية، في الوقت الَّذي كان فيه المسلمون متكتمين على موقفهم تجاهها، ومن هذا المنطلق، فعندما أعلن رسول الله ﷺ موقفه من أصنام قريش،

---

(1) خطاب إسماعيل أحمد، **الرَّسول وعرض نفسه على القبائل العربية في مواسم الحج**، مجلَّة كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، مج7، ع14، ج1، 2013م، ص4– 5.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج12، ص142، ويُنظر: الخضري، محمَّد، **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، تحقيق: عادل خضر، (بيروت، مؤسَّسة المعارف، 2005م)، ص27.

(3) الشريف، أحمد إبراهيم، **مكَّة والمدنية في الجاهلية وعهد الرسول**، (بيروت، دار الفكر العربي، د، ت)، ص264.

وعقيدتهم الشِّركية؛ تحولوا مباشرة إلى الموقف العدائي له ولصحابته رضوان الله عليهم، وتفننوا في إيذائهم قدر ما استطاعوا[1].

ونتيجة لذلك، قرر رسول الله ﷺ عرض الإسلام على قاصدي مكَّة للحج من أبناء القبائل العربية، وقد انقسمت هذه المرحلة من الدَّعوة إلى مرحلتين؛ **أوَّلها:** مرحلة عرض دعوة الإسلام على القبائل العربية في موسم الحج، وفي وصف هذه المرحلة من الدَّعوة يقول ابن سعد: "أقام رسول الله بمكَّة ثلاث سنين من أوَّل نبوته مستخفيًا، ثمَّ أعلن في الرَّابعة، فدعا النَّاس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي المواسم كلَّ عام، يتَّبع الحاجَّ في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز... حتَّى إنَّه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، ويقول: «يا أيُّها النَّاس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم؛ كنتم ملوكًا في الجنَّة»[2]، ثمَّ توقَّف الرَّسول ﷺ عن عرض دعوة الإسلام على القبائل بعد لقائه بوفد يثرب في السَّنة العاشرة للبعثة.

ويُلاحظ أنَّ دعوة الرَّسول الكريم للإسلام من السَّنة الرَّابعة إلى التَّاسعة للبعثة من المرحلة المكِّية، والَّتي كان يوافي فيها القبائل العربية في مواسم الحج قد اختلف أسلوبها عن السَّنة العاشرة والحادية عشرة للبعثة بعد محنة الطَّائف؛ فكانت في البداية عامَّة للقبائل العربية، يقف على منازلهم، فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما

(1) الغضبان، **المنهج الحركي**، ص25.

(2) **الطَّبقات الكبرى**، ج1، ص216.

تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدِّقوا بي، وتمنعوني حتَّى أُبين عن الله ما بعثني به»[1].

ثمَّ تبدأ **المرحلة الثَّانية** من عرض الرَّسول نفسه على القبائل العربية خلال مواسم الحجِّ، طالبًا المنعة والإيواء، والَّتي بدأت بعد محنة الطَّائف في السَّنة العاشرة للبعثة، وذلك بعد وفاة عمِّه أبي طالب، وزوجته خديجة رضي الله عنها أقوى المساندين له في تبليغ الدَّعوة، حيث انتقلت زعامة بني هاشم إلى أبي لهب، وكان من أشد النَّاس عداوة للرسول ﷺ، فجاءت مرحلة التَّفكير بالخروج من مكَّة، واختيار مركزٍ جديدٍ لنشر الدَّعوة الإسلاميَّة، على أن تكون قريبة من مكَّة، فكان الاختيار مدينة الطَّائف، والَّتي واجه فيها رفضًا للدعوة، وقسوة من أهلها، وأدرك رسول الله ﷺ أنَّه إذا علم أهل مكَّة بخروجه إلى الطَّائف ورفضهم دعوته لهم سيضعف ذلك من موقفه، ويزيد من عداوتهم له؛ لذلك طلب أن يكون هذا الأمر سرًّا، إلَّا أنَّه تمَّ تسريب الخبر لزعماء قريش، فكانت عودته إلى مكَّة محفوفة بالمخاطر؛ ممَّا استدعى دخول مكَّة تحت حماية شخص قوي، فبحث رسول الله ﷺ وأرسل إلى كثيرٍ منهم إلَّا أنَّه واجه رفضًا، حتَّى وافق أحدهم وهو مُطعم بن عدي[2].

وعلى هذا، فبعد محنة الطَّائف أخذ رسول الله ﷺ يتحين مواسم الحجِّ؛ بغرض عرض نفسه على القبائل، يقول عروة بن الزُّبير عن هذه المرحلة: "خرج النَّبيّ ﷺ في تلك السِّنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كلِّ موسم، ويكلم كلَّ شريف، لا يسألهم مع ذلك إلَّا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: لا أُكره منكم أحدًا على شيء، من رضي منكم بالَّذي أدعوه إليه قبله، ومن كره لم أُكرهه، إنَّما أريد

(1) ينظر: ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية**، ج2، ص270.

(2) ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية**، ج2، ص225؛ الطَّبري، **تاريخ الرسول والملوك**، ج1، ص555.

أن تحرزوني ما يُراد بي من القتل، فتحرزوني حتَّى أبلغ رسالات ربي، ويقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء، فلم يقبله أحد منهم، ولا أتى أحد من تلك القبائل إلَّا قالوا: قوم الرَّجل أعلم به"[1].

وكانت قريش تعمل على منع رسول الله ﷺ من إبلاغ دعوته، حتَّى إنَّهم كانوا يتبعونه في مواسم الحجِّ ليصرفوا عنه النَّاس، خصوصًا عمَّه أبا لهب، وكذلك أبا جهل؛ لهذا كان الرَّسول الكريم يخرج لعرض نفسه على القبائل خارج مكَّة، والظَّاهر –والله أعلم– أنَّ هذه الفترة استمرت موسمًا واحدًا فقط من مواسم الحج، وهو في السَّنة العاشرة من البعثة.

ومن نماذج الحوارات الَّتي أجراها رسول الله ﷺ مع القبائل، نذكر منها أبرز هذه الحوارات وأوَّلها؛ حواره مع "قبيلة كندة"، والَّتي اختارها رسول الله ﷺ في بداية دعوته للقبائل؛ كونها أفضل من كانت تحجُّ البيت من اليمن، وكانوا من الحضر، فعرفوا الاستقرار، وتبادر إلى ذهنه ﷺ أن يكونوا الأقرب لتقبل دعوته، فأتاهم في منازلهم ودعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعرض نفسه عليهم ليمنعوه، إلَّا أنَّهم أبوا ذلك، ولكن ردَّهم كان ليِّنًا مقارنة مع القبائل الأخرى[2]، ونجد هذا الجواب متناسبًا مع طبيعتهم الَّتي كانوا عليها؛ فقد كانوا ملوك العرب في اليمن، وجُل ما قد ينصب عليه اهتمامهم هو الملك.

---

(1) ابن الزبير، عروة بن الزبير، **مغازي رسول الله**، تحقيق: محمَّد مصطفى الأعظمي، (الرِّياض، مكتب التَّربية العربي لدول الخليج، ط1، 1981م)، ص117؛ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق: محمَّد صادق، (العراق، المكتبة الحيدرية، ط1، 1974م)، ج2، ص31.

(2) ابن إسحاق، **السِّيرة**، ص232؛ ابن هشام، **السِّيرة النَّبوية**، ج2، ص271؛ الطَّبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج2، ص349.

ومن القبائل الَّتي عرض عليها رسول الله ﷺ دعوته في مواسم الحج، "قبيلة عامر بن صعصعة"؛ واختارها رسول الله ﷺ لكبر عددها، وكانت معروفة بين قبائل الجزيرة العربية بأنَّه لم يُسبَ نسائها من قِبل أي قبيلة أخرى، ولم تتبع لملك، ولم تدفع إتاوة أو جزية لأحد[1]، ولكنَّهم أبوا أن يمنعوه أو يؤمنوا به، فخرج من عندهم وانتهى إلى "قبيلة محارب بن خصفة"، فوجد فيها شيخًا مُسنًّا بلغ من العمر مائة وعشرين، فعرض عليه رسول الله ﷺ نفسه، لإبلاغ رسالة ربه، فكان رده: "أيُّها الرجل، قومك أعلم بنبئك، والله لا يؤوب بك رجل إلى أهله، إلَّا آب بشرِّ ما يؤوب به أهل الموسم، فاغنِ عنَّا نفسك"[2]، وهكذا صار رسول الله ﷺ يعرض نفسه ودعوته في مواسم الحجِّ، وقد أشارت المصادر إلى أنَّ القبائل الَّتي عرض رسول الله ﷺ دعوته عليها في مواسم الحج قد ذُكر منها عشرون قبيلة فقط، وكانت جميعها في فترة ما بعد محنة الطَّائف في السَّنة العاشرة للبعثة النَّبوية الشَّريفة في العهد المكِّي.

سادسًا: أثر التَّعارف على العلاقات الاقتصاديَّة بين الرِّسالة الإسلاميَّة والشُّعوب الأخرى

بدأت الحرب الاقتصاديَّة على الإسلام بعد بعث النَّبيّ ﷺ ببضع سنوات، وذلك بالمقاطعة الَّتي تمَّت من قِبَل تجار مكَّة لبني هاشم وبني المطلب، مؤمنين كانوا أو كافرين، فكُتبت بذلك صحيفة وعُلِّقت في بالكعبة، وكانت العلة من مقاطعتهم على السَّواء أنَّ المؤمن يُقاطع لدخوله في الدِّين الجديد، والكافر بسبب حمايته للنبي ﷺ، وقد استُثني من تلك المقاطعة أبو لهب، والَّذي كانت

(1) علي محمد الصّلابي، **السِّيرة النَّبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث**، (بيروت، دار المعرفة، 2010)، ج1، ص281؛ وينظر: التّجاني، عبد القادر حامد، **أصول الفكر السِّياسي في القرآن الكريم**، (عمان، دار البشير، 1995م)، ص182.

(2) الأصبهاني، **دلائل النُّبوة**، ج2، ص266 – 267.

عداوته للنبي ﷺ وصحابته ظاهرة للعيان، كما أنَّه ساعد قريشًا في تلك المقاطعة، ويستدلُّ على ذلك بما جاء من قول ابن عباس رضى الله عنهما: "حُصرنا في الشِّعب ثلاث سنين، وقطعوا عنَّا الميرة، حتَّى إنَّ الرَّجل ليخرج بالنَّفقة، فما يباع له حتَّى يرجع، حتَّى هلك من هلك"[1].

وما كان هذا الحصار ليثني النَّبيّ ﷺ عن دعوته، فما ركن إليهم، واستمر في الدَّعوة إلى الله –تعالى– بشتَّى السُّبل، وصبر النَّبيّ ﷺ وصحابته على ذلك البلاء حتَّى أكلوا ورق الشَّجر من شدَّة الجوع، ولم يثنيهم ذلك عن أمرهم، واستمر ذلك الحال حتَّى أنكر بعض أهل قريش الأمر وما حلّ بأبناء عمومتهم، وحاولوا نقض نصوص الصَّحيفة الَّتي كتبوها، وكان ممن أنكر ذلك: هشام بن عمرو، وزهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، فانطلقوا لكي يقطعوا الصَّحيفة، فقابلهم أبو جهل ورفض تقطيعها؛ فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقَّها فوجدوا أنَّ الأرضة قد أكلتها، إلا اسم الله الَّذي كان بها، ويعدُّ حصار تجار مكَّة للمسلمين، أوَّل حصارٍ اقتصادي يواجه المسلمين[2].

وكان لصبر النَّبيّ ﷺ والمسلمين على هذا الحصار أثر في دخول عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما إلى دين الإسلام، وعلى إثرها قام النَّبيّ ﷺ بإرسال الرُّسل للمناطق المجاورة لمكَّة المكرَّمة؛ لدعوتهم إلى الإسلام، وإطلاعهم على حقيقة هذا الدِّين الَّذي تحاربه قريش؛ فكان لذلك أثره في انتشار الإسلام في نجران، ودوس، وغفار، وغيرها من المناطق[3].

ولم يقتصر التَّشكيل الاقتصادي للعهد الإسلامي في المدينة المنورة بعد هجرة النَّبيّ ﷺ إليها على العمل في الزِّراعة فقط، بل سُلكت العديد من المسالك؛ فكانت المُتاجرة مع مكَّة المكرَّمة،

---

(1) ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، ج7، ص187.

(2) ابن هشام، **السِّيرة النَّبويَّة**، ج1، ص253.

(3) السِّيوطي، جلال الدِّين (ت 911هـ)، **الدُّر المنثور** (بيروت، دار الفكر، د، ت)، ج8، ص665.

وأعراب البادية، والشَّام، وبدأ إنتاج الصِّناعات المعتمدة على إنتاجهم الزِّراعي[1]، وممَّا دعم هذا، ما كان من تدعيم جذور التَّعارف بين المهاجرين والأنصار، عندما آخى بينهم نبينا الكريم ﷺ، فمن خلال المؤاخاة تعلَّم المهاجرون الصِّناعة من الأنصار، وتأثر الأنصار بالمهاجرين، وكان اليهود آنذاك أكثر ثراءً من العرب، وكانوا مهرة في فنون الاقتصاد والتجارة[2].

وأنكر النَّبيّ ﷺ ذلك، وأمر القادرين من المسلمين بالعمل في الأسواق الَّتي كان لليهود التَّحكم والسَّيطرة عليها، فقام النَّبيّ ﷺ بإنشاء سوقٍ منافسٍ لهم، وجاء عن رسول الله ﷺ أنَّه ذهب إلى سوق النَّبيّط، فنظر إليه، فقال: «ليس هذا لكم بسوق، ثمَّ ذهب إلى سوق فنظر إليه، فقال: ليس هذا لكم بسوق، ثمَّ رجع إلى هذا السُّوق، فطاف فيه، ثمَّ قال: هذا سوقكم، فلا ينتقصن، ولا يضربن عليه خراج»[3]؛ وهذا من فطنة نبيِّنا الكريم ﷺ، في التَّركيز على الهدف الرَّئيسي.

ويمكن القول إنَّ التَّعارف يهذب النَّفس البشرية ويوجهها نحو الارتقاء إلى مراتب السُّلوك الأخلاقي، فالاختلاف بين الشُّعوب الَّذي ينبني على تذكُّر انتساب الإنسان إلى الإيمان بالله، وعلى التَّعاون لأجل التّكامل الاقتصادي والعمراني؛ يُلْفِت نظر الإنسان إلى أنَّ دوام التَّعارف ممدود نحو الاجتهاد من أجل تقوية الصّلة مع الله؛ لأنَّه معيار الكمال، فالكرامة الحقيقة تستمد معناها لا من التَّقوُّل بطهارة الدَّم والعرق ونقاء الأصل وأفضلية الحضارة والمفاخرة بالسّمات البيولوجية، كما لا يحصل التَّواصل بين الثَّقافات بطريق العلاقات الاقتصاديَّة المنفصلة عن محاسن الأعمال وأفضل

---

(1) الملاح، هاشم يحيى، **طبيعة الدَّولة الإسلاميَّة (دراسات تاريخية في المفهوم والنُّظم والإدارة)**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2009م)، ص316.

(2) ابن كثير، **البداية والنِّهاية**، ج3، ص224.

(3) الصَّالحي الشَّامي، محمَّد بن يوسف (ت 942هـ)، **سبل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م)، ج9، ص8.

الأخلاق، إنَّما بالتزام المسلم في المعاملات الاقتصاديَّة بقيم وشرائع الإسلام؛ مما أسهم وساعد في نشر دعوة الإسلام والتَّعريف به من خلال التَّعامل الاقتصادي الإسلامي.

الرَّأي الشَّخصي:

إنَّ قيمة التَّعارف من المبادئ الإسلاميَّة العظيمة، وغايتها تحقيق التَّعايش والسَّلام في ظلِّ التَّعددية الفكرية والمذهبية، والَّتي هي من سنن الله في الأرض، والحوار بين الحضارات يعمل على تعزيز القيم المشتركة، وبيان الفضائل العامة، والثابت في سيرة النَّبيّ ﷺ حرصه على الحوار الهادف؛ حتَّى يعم السَّلام بين الأمم والشُّعوب.

وقد أقرَّ رسول الله ﷺ مبدأ التَّعارف وفقًا للمنهج النَّبوي، بما ليس فيه انكسارٌ للمسلمين كما يتوهم البعض، بل هو سبيل لوصل حبال الود والتَّعايش على كلمة سواء، تعاونًا على الخير، وانطلاقًا من ضرورة الحوار؛ لمواجهة الأخطار العديدة والمشتركة الَّتي تهدد الكيان الإنساني كلَّه على اختلاف عقائده وألوانه.

وواقع الأمر، أنَّ عالمنا اليوم أكثر حاجةً ممَّا مضى إلى ذلك التَّعايش والحوار بين الحضارات، في ظلِّ وجود التَّصادم بين الحضارات، وكثرة الفتن الَّتي باتت تموج كموج البحر؛ ممَّا أدَّى لاحتدم الصِّراع بين النَّاس، ولذا يتعين علينا الاقتداء بالنَّبيّ ﷺ لتحقيق التَّعايش السِّلمي والحوار الهادف.

الخاتمة:

إنَّ لقيم التَّعارف أهمِّيَّة كبيرة في تحقيق الحوار بين الحضارات، والمنهج القرآني والنَّبوي يذخر بالمواقف التَّعليمية والتَّربوية الَّتي ترسخ وتدعو إلى التَّعارف، والَّتي هي الأصل وفق أقوال العلماء، ويأتي ذلك واضحًا في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، فالآية الكريمة تضمَّنت الإشارة إلى مبادئ كلِّيَّة وأبعاد إنسانية عامَّة، تضعنا أمام الأفق الإنساني الكلِّي، حيث تمَّ توجيه الخطاب إلى كلِّ النَّاس.

والتَّعارف يبرز قيمة الحوار، ومن خلاله يتمُّ الانفتاح على الغير من خلال وسائل التَّواصل المختلفة، وقد دعا القرآن الكريم إلى ترسيخ قيمة التَّعارف في أذهان البشر، وحثَّهم على إيجاد القواسم المشتركة بين الأفراد؛ حتَّى يعمَّ السَّلام بينهم، فقد خلق الله –سبحانه وتعالى– البشر شعوبًا وقبائل متباينين فيما بينهم لهدف سامٍ، وهو تحقيق التَّعارف فيما بينهم.

وقد أقرَّ رسول الله ﷺ مبدأ التَّعارف وفقًا للمنهج النَّبوي، بما ليس فيه انكسارٌ للمسلمين، كما يتوهم البعض، بل هو سبيل لوصل حبال الودِّ والتَّعايش على كلمة سواء، تعاونًا على الخير، وانطلاقًا من ضرورة الحوار لمواجهة الأخطار العديدة والمشتركة الَّتي تهدد الكيان الإنساني كلِّه، على اختلاف عقائده وألوانه، ولتسهيل عملية التَّواصل والتَّفاهم الَّذي من خلاله يتمُّ تحقيق الائتلاف والاستقرار والسِّلم، وبه يتمُّ نبذ الخلافات وتقليل الصِّراعات.

وفي غياب التَّعارف يتكوَّن لدى كلِّ طرف صورة نمطية مشوَّهة وغير دقيقة عن الآخر، وفي ظلِّ ذلك التَّنافس وتلك الصِّراعات يتمُّ إعادة خلق عمليات تشويه متعمدة، وإلصاق تهم عدائية ضد الآخر المختلف، وتصيد الأخطاء لديه؛ لذلك كانت عملية التَّعارف هي الحصن الواقي من كلِّ تلك التبعات، فهي السَّبيل الأنجع للفهم الصَّحيح والسَّليم، وهي السَّبيل لبناء علاقة بنَّاءة، ويحدث في كثير من الأحيان أنَّ عملية التَّعارف لا تتشكل لدينا بصورة طبيعية وسليمة، بحيث يتمُّ التَّخلص من الصُّور النَّمطية الَّتي تمَّ رسمها مسبقًا، ويتمُّ من خلاله التَّعرف على مختلف الأطراف بصورة حيادية بعيدة عن الرَّغبات والعواطف.

النَّتائج:

1. إنَّ قيم التَّعارف والحوار من القيم الأساسيَّة الَّتي أوصى بها الله –تعالى– لنشر دينه الحنيف؛ لما لها من أهمِّيَّة بالغة في الفكر الإسلامي لضبط الاختلاف المذموم، ونشر ثقافة الحوار والتَّعاون والتَّسامح والقبول بالآخر المختلف، وهو ركيزة أساسية في الدَّعوة إلى الله تعالى، كما إنَّه أداة للتفاهم مع الآخرين، وإرساء الجوامع المشتركة بين المتحاورين في الأخلاق والعقيدة والثَّقافة.
2. لقد أرسى الرَّسول ﷺ بالحوار والمجادلة أساسًا في التَّعامل، وهي القاعدة الأساسيَّة في الإسلام الَّتي يمكن استلهامها واعتمادها قاعدة في التَّعامل، وعلاقة الرَّسول ﷺ بأصحابه وسماع آرائهم ومواقفه الكثيرة معهم تبيِّن كيف أنَّ المسلمين يناقشون بحرية كي يتوصَّلوا إلى الرَّأي السَّديد، لذا كان التَّعايش هو المدخل الصَّحيح لفهم نظرة الإسلام للإنسان

ومكانته، تحقيقًا للمنهج الَّذي يربط بين الجوانب الاجتماعية والمفاهيم الشَّرعيَّة من أجل بلورة رؤية إسلامية في التَّعايش.

3. التَّعارف على الآخر والتَّواصل والحوار للتعريف بالذَّات هو الطَّريق الأمثل الَّذي ينبغي سلوكه لتحقيق التَّعايش المشترك في عالم ينعم بالسَّلام، وللوصول إلى جادة اليقين وامتلاك ناصية الحقيقة والعيش بسلام.
4. لقد حثَّ القرآن الكريم على التَّعارف وتقبل الاختلافات، والاتخاذ من الاختلافات الثَّقافية والحياتية أسباب للتقارب والتَّعارف لا للتنافر والخصومة، وبالرُّجوع إلى مواقف الرَّسول ﷺ في نشر الدَّعوة يتبيَّن أنَّ هناك وعيًّا كاملًا بقيمة التَّعاون والحوار مع الآخر من خلال الأحاديث والآثار والقصص الَّتي تتضمن معاني التَّسامح الَّتي هي أمر ضروري دينيًّا ودنيويًّا، حيث تسهم في إزالة كثير من التَّناقضات الَّتي تقف حائلًا أمام مواجهة التَّحدِّيَّات الَّتي قابلت المسلمين في العهد المكِّي.

التَّوصيات:

1. رغم أنَّ قيمة التَّعارف والتَّواصل الحضاري قد حظيت بجهود العديد من الباحثين، وأفردوا لها العديد من المؤتمرات والنَّدوات، إلَّا أنَّها لم تؤتِ ثمارها إلى الآن؛ لذا أوصي ببذل المزيد من الجهد في ذلك المضمار.
2. عني علماؤنا في الدِّين وعلوم الاجتماع بإيضاح القيم السُّلوكية والأخلاقيَّة مستندين إلى ما جاء من تعاليم في القرآن الكريم، وعلى الرَّغم من عظم الجهود المبذولة إلَّا أنَّ العامَّة

لم يولوا تلك القيم مكانتها في معاملتهم وبناء علاقاتهم؛ لذا يجب نشر قيمة التَّعاون في الوسط الاجتماعي للعمل بها.

3. العمل على إجراء المزيد من الدِّراسات الأكاديمية والميدانيَّة؛ فقيمة التَّعاون والحوار لا تعدو كونها مسألة أدبية يمكن حلُّها من خلال الكتابات، بل إنَّ الأمر يتعدى ذلك إلى كونها مسألة ميدانية؛ لذا أوصي بالاهتمام بالجانب الميداني في تلك المسألة.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

أوَّلًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر والمراجع العربية

- إبراهيم مصطفى، وآخرون، **المعجم الوسيط**، (القاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2007).
- ابن إسحاق، **السِّير والمغازي**، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، 1987م).
- ابن الأثير (ت 630 هـ)، **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.
- ابن الزُّبير، عروة بن الزُّبير، **مغازي رسول الله**، تحقيق: محمَّد مصطفى الأعظمي، (الرياض، مكتب التَّربية العربي لدول الخليج، ط1، 1981م).
- ابن تيمية الحراني (ت 728 هـ)، **الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، (السُّعودية، دار العاصمة، 1999م).
- ابن حجر الهيتمي، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد (ت 974 هـ)، **الفتاوى الكبرى الفقهية على مذهب الإمام الشَّافعي**، تحقيق: عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكِّي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2018م).

- ابن سعد (ت 230هـ)، **الطَّبقات الكبرى**، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا (بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م).
- ابن عاشور، التُّونسي (ت 1393هـ)، **التَّحرير والتَّنوير «تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، (تونس، الدَّار التُّونسية للنشر، 1984م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **البداية والنِّهاية** (بيروت، دار الفكر، 1986م).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، **تفسير ابن كثير**، تحقيق: محمَّد حسين شمس الدِّين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ).
- ابن كثير، القرشي الدّمشقي (ت 774هـ)، **السِّيرة النَّبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع بيروت، 1976م).
- ابن ماجه (ت 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية– فيصل عيسى البابي الحلبي، بيروت، 2009م).
- ابن منظور: محمَّد بن مكرم (ت 711هـ)، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، 1414هـ).
- ابن هشام، أبو محمَّد، جمال الدِّين (ت 213هـ)، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السَّقا، وآخرون، (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1955م).
- ابن هشام، أبو محمَّد، جمال الدِّين (ت 213هـ)، **السِّيرة النَّبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرَّؤوف سعد، شركة الطّباعة الفنية المتحدة، (د، ت).

- أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، **السنن الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003).
- أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1988م).
- أبو بكر الخلال، البغدادي الحنبلي (ت 311 هـ)، **الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر**، تحقيق: الدُّكتور يحيى مراد (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م).
- أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدِّين**، (بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ، 2005م).
- أبو داود السجستاني (ت 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين، (المكتبة العصرية، بيروت، 2007م).
- أبو زهرة: محمَّد، **المجتمع الإنساني في ظلِّ الإسلام**، (جدَّة، الدَّار السُّعودية للنشر والتَّوزيع، 1401هـ).
- أبو زهرة، محمَّد، **خاتم النَّبيّين صلَّى الله عليه وسلَّم**، (قطر، طُبع على نفقة صاحب السُّمو الشَّيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر، 2008م).
- أبو عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1990).
- أبو عزة، عبد الله، **حوار الإسلام والغرب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م).
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد (ت 241 هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون (بيروت، مؤسسة الرِّسالة، 2001 م).

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، (بيروت، دار الفكر، 1979).
- أحمد محمَّد الشرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"**، المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلِّيَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الشَّارقة، 1428هـ.
- أحمد، حسن إبراهيم، **صدام المصالح وحوار الحضارات**، (الأردن، مؤسسة علاء الدِّين للطباعة والتَّوزيع، 2004م).
- بخيت، محمَّد حسن، **أدب الحوار**، مؤتمر الدَّعوة الإسلاميَّة ومتغيرات العصر، كلِّيَّة أصول الدِّين، الجامعة الإسلاميَّة بغزَّة، في الفترة 16– 17 أبريل، 2005م.
- بدر الدِّين الزَّركشي (ت 794 هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 2009م).
- بدر الدِّين العيني، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسى (ت 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د، ت).
- البركتي، السَّيد محمَّد عميم الإحسان المجددي، **التَّعريفات الفقهية**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ).
- بن حميد، صالح بن عبد الله، **أصول الحوار وآدابه في الإسلام** (مصر، دار المنارة، 1994م).

- بن حميد، صالح بن عبد الله، **معالم في منهج الدَّعوة**، (جدَّة: دار الأندلس الخضراء، 1999م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت 458هـ)، **أحكام القرآن للشافعي**، تقديم: عبد الغني عبد الخالق، محمَّد زاهد الكوثري (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1994م).
- التَّجاني، عبد القادر حامد، **أصول الفكر السِّياسي في القرآن الكريم**، (عمان، دار البشير، 1995م).
- جلال الدِّين السِّيوطي (ت 911هـ)، **الدُّر المنثور في التَّفسير بالمأثور**، (بيروت، دار الفكر العربي، د، ت).
- جلال الدِّين السِّيوطي (ت 911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ).
- جمعة، علي، **التَّعايش مع الآخر في ضوء السِّيرة النَّبوية: الأسس والمقاصد**، (سلسلة البيان، 2018م).
- الحجيري، عبد الغني عبد الله، **وسائل الإعلام في الإسلام**، (السعودية، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 2014).
- الخضري، محمَّد، **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، تحقيق: عادل خضر، (بيروت، مؤسسة المعارف، 2005م).
- خليفة، عبد اللطيف محمَّد، **ارتقاء القيم: دراسة نفسية**، سلسلة كتب ثقافة شهرية، بإشراف أحمد مشاري العداوني، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1990م).

- دخوش، كلثومة، **مفهوم التَّعارف بين مقصدي الخلق والتَّشريع**، (الرِّباط: ندوة علمية دولية بعنوان: مقاصد الشَّريعة والسِّياق الكوني المعاصر، الرابطة المحمَّدية للعلماء، 2012م).
- ديماس، محمَّد راشد، **فنون الحوار والإقناع**، (مصر، دار الشُّروق، 1999م).
- الزَّبيدي، محمّد بن عبد الرزّاق (ت 1205هـ)، **تاج العروس**، تح: مجموعة من المحققين، (القاهرة، دار الهداية، 2005).
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، 1418هـ).
- الزمخشري جار الله، تفسير الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).
- الزّيباري، طاهر حسو، **النَّظرية السُّوسيولوجية المعاصرة** (الأردن: دار البيروني للنشر والتَّوزيع، 2016م).
- السَّعدي، عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله (ت 1376هـ)، **تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسسة الرِّسالة، 1420هـ).
- سير توماس أرنولد، **الدَّعوة الى الاسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلاميَّة**، (مصر، مكتبة النَّهضة المصرية، 1971م).
- الشريف، أحمد إبراهيم، **مكة والمدنية في الجاهلية وعهد الرَّسول**، (بيروت، دار الفكر العربي، د، ت).

- صالح أحمد العلى، **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، (لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2008).
- صالح أحمد العلي، **محاضرات في تاريخ العرب**، (جامعة الموصل، مؤسسة دار الكتب للطباعة، 1981م).
- الصَّالحي الشَّامي، محمَّد بن يوسف (ت 942هـ)، **سبل الهدى والرَّشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1993م).
- الطَّبري، محمَّد بن جرير (ت 310 هـ)، **تفسير الطَّبري "جامع البيان عن تأويل آيات القرآن"**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، (القاهرة، دار هجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، 2001م).
- الطَّبري، محمَّد بن جرير (ت 310هـ)، **تاريخ الطَّبري "تاريخ الرُّسل والملوك، وصلة تاريخ الطَّبري"**، (بيروت، دار التُّراث العربي، 1387هـ).
- طنطاوي، محمَّد سيد، **أدب الحوار في الإسلام**، (مصر: دار نهضة مصر للطباعة، 1997م).
- العازمي، موسى بن راشد، **اللؤلؤ المكنون في سيرة النَّبيّ المأمون «دراسة محققة للسيرة النَّبوية»**، تحقيق: محمَّد رواس قلعه جي، الشَّيخ عثمان الخميس (الكويت، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2011م).

- عبد العزيز، أمير، **أصول الفقه الإسلامي**، (القاهرة، دار السَّلام للطباعة والنشر، 1997م).
- عزوزي، عبد الحق، **القيم الحضاريَّة والإنسانية المشتركة بين الواقع والمتغير**، (مصر، دار الكتب المصرية، 2008م).
- علي محمد الصّلابي، **السِّيرة النَّبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، (بيروت، دار المعرفة، 2010).
- الغزالي، محمَّد بن محمَّد الطوسي، **الوسيط في المذهب**، تحقيق: أبو عمرو الحسيني بن عمرو بن عبد الرَّحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2014م).
- الغضبان، منير محمَّد، **المنهج الحركي للسيرة النَّبوية**، (المنصورة، دار الوفاء، 2008م).
- غلوش، أحمد أحمد، **السِّيرة النَّبوية والدَّعوة في العهد المكِّي، إسلام الضُّعفاء فقط**، (بيروت، مؤسسة الرِّسالة، ط1، 2003م).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السَّامرائي، (مصر، دار ومكتبة الهلال، د، ت).
- فضل الله، محمَّد حسين، **في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي**، (لبنان، دار الملاك، 1994م).
- فهمي، هويدي، **المفترون: خطاب التَّطرف العلماني في الميزان**، (مصر، دار الشُّروق للنشر والتَّوزيع، 1996م).

- فيصل آل مبارك، **توفيق الرَّحمن في دروس القرآن**، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزّير آل محمَّد، (الرياض، دار العليان للنشر والتَّوزيع، 1996م).
- القاضي، أحمد بن عبد الرَّحمن بن عثمان، **دعوة التَّقريب بين الأديان، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلاميَّة** (الرِّياض، دار ابن الجوزي، 1421هـ).
- القرطبي، محمَّد بن أحمد (ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ج12، 1964م).
- الكتاني، محمَّد، **ثقافة الحوار في الإسلام من التَّأسيس إلى التَّأصيل**، (الدَّار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، مطبعة النَّجاح، 2007م).
- محمَّد الأمين الشّنقيطي، **تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان**، تحقيق: سيد محمَّد ساداتي الشِّنقيطي، (مصر، دار الهدي النَّبوي، ط1، 1426هـ/ 2005م).
- محمَّد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر، (دار طوق النَّجاة، ط1، 1422هـ).
- محمَّد بن عبد المنعم، **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، (مصر، مطابع دار السِّراج، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م).
- محمَّد حسين هيكل، **حياة محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**، (مصر، مؤسسة هنداوي، 1935م).
- محمَّد متولي الشَّعراوي، **تفسير الشَّعراوي**، (القاهرة، أخبار اليوم، 1991م).

- مسلم بن الحجاج (ت 261هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التُّراث، بيروت، د، ت).
- الملاح، هاشم يحيى، **طبيعة الدُّولة الإسلاميَّة (دراسات تاريخية في المفهوم والنُّظم والإدارة)**، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2009م).
- المناوي، محمَّد عبد الرَّؤوف، **التَّوقيف على مهمات التَّعاريف**، تحقيق: محمَّد رضوان الدّاية، (بيروت، دار الفكر، 1410هـ).
- هاشم، مازن موفق هاشم، **مقاصد الشَّريعة**، (واشنطن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2014م).
- الهيتي، عبد السَّتار، **الحوار الذَّات والآخر**، كتاب الأمة، (ع 99، قطر، وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، 1425هـ).
- وضَّاح خنفر، **الربيع الأوَّل "قراءة سياسية واستراتيجية في السِّيرة النَّبوية"**، (بيروت، دار جسور للترجمة والنَّشر، 2020م).
- اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق: محمَّد صادق، (العراق، المكتبة الحيدرية، ط1، 1974م).

ثالثًا: المجلَّات العلمية

- أحمد، التَّاج إبراهيم دفع الله، "**حقوق الإنسان في الشَّريعة الإسلاميَّة في ضوء مصدريها القرآن والسُّنَّة**"، مجلة التَّربية، ع164، ج1، جامعة الأزهر، كلِّيَّة التَّربية، 2015م.
- أحمد، منى محمَّد سليم، **إبراز محاسن شريعة النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم من خلال الحوار**، مجلة البحوث والدِّراسات الشَّرعيَّة، مج3، ع21، عبد الفتاح محمود إدريس، 2014م.
- بوفلاقة، محمَّد سيف الإسلام، **حوار الحضارات في منظور الثَّقافة الإسلاميَّة**، مجلة مقاربات فلسفية، مج8، ع1، جامعة عنابة، 2021م.
- جاد الرَّب، محمَّد أحمد، **فن وأدب الحوار في القرآن الكريم**، مجلة دراسات المستقبل، ع6، مج1، مركز دراسات المستقبل، 2014م.
- حايد، فريدة، "**مقصد التَّعارف وأثره في القانون الدُّولي الإسلامي**"، مجلَّة إسلامية المعرفة، س23، ع92، ربيع 2018م.
- حسين، سالم خليفة، **الإسلام دين السَّلام والسَّماحة**، مجلَّة الجامعة الأسمرية الإسلاميَّة، س6، ع12، الجامعة الأسمرية الإسلاميَّة، 2009م.
- خطاب إسماعيل أحمد، **الرَّسول وعرض نفسه على القبائل العربية في مواسم الحج**، مجلة كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، مج7، ع14، ج1، 2013م.

- الشّرفات، جهاد سالم جريد، **منهج القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية الشَّريفة في جدل غير المسلمين**، مجلة المنارة للبحوث والدراسات ، مج20، ع3، جامعة آل البيت – عمادة البحث العلمي، 2014
- عبد الله، سليمان التوم دشاش، **تجليات منهج الحوار في القرآن الكريم والسُّنَّة وأثرها في تقرير عقيدة التَّوحيد**، مجلة العلوم الإسلاميَّة واللغة العربية، ع1، جامعة غرب كردفان– كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة واللغة العربية، 2015م.
- العفراوي، إيمان نعيم شعير محسن، **التَّعايش الحضاري وانعكاساته الاجتماعية والفكرية والثَّقافية: دراسة في المفهوم والواقع**، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج36، ع3، جامعة البصرة– كلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانية، 2011م.
- عيدان، خلود جبار، "**السِّلم والسَّلام وثقافة الحوار في الإسلام**"، مجلة الكلِّيَّة الإسلاميَّة الجامعة، مج9، ع28، الجامعة الإسلاميَّة، 2014م.
- كردي، وليد هاشم، **مقوِّمات التَّعايش السِّلمي في القرآن والسُّنَّة وأثرها في تحقيق الوسطية والاعتدال والسِّلم الأهلي**، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلاميَّة، مج9، ع37، جامعة الأنبار– كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، 2018م.
- محمَّد، حسين عبدالعال حسين، **مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم**، المجلَّة العلمية لجامعة الملك فيصل– كلِّيَّة العلوم الإنسانية والإدارية، مج19، ع1، جامعة الملك فيصل، 2018م.

- المعايطة، قيس سالم، **ضوابط الحوار في الفكر الإسلامي**، المجلة الأردنية في الدِّراسات الإسلاميَّة، مج3، ع1، 2007م.

رابعًا: رسائل الماجستير

- أبات، محمَّد محمود أحمد، **الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، 1982م.
- أبو سيف، ليندا نعيم، **منهج النَّبيّ ﷺ في الدَّعوة من خلال رسائله إلى الملوك والأمراء: دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير، منشورة، الأردن، جامعة آل البيت، 2012م.

خامسًا: المؤتمرات

- أحمد محمَّد الشَّرقاوي، **الحوار القرآني في ضوء سورة الأنعام "دراسة موضوعية"**، المؤتمر العالمي حول الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلِّيَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الشَّارقة، 1428هـ.
- بخيت، محمَّد حسن، **أدب الحوار**، مؤتمر الدَّعوة الإسلاميَّة ومتغيرات العصر، كلِّيَّة أصول الدِّين، الجامعة الإسلاميَّة بغزة، في الفترة 16– 17 أبريل، 2005م.

الملاحق:

- حوار جعفر بن أبي طالب مع النجاشي سنة 6هـ، المصدر: أحمد بن حنبل، **المسند**، ج37، ص172.

"أيها الملك، كنَّا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منَّا القوي الضَّعيف، فكنَّا على ذلك، حتَّى بعث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصَّلاة والزَّكاة والصِّيام- فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحل من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألَّا نظلم عندك أيها الملك، فقال له النَّجاشي: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم! فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ. فقرأ عليه صدرًا من "كهيعص"، فبكى والله النَّجاشي حتَّى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتَّى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثمَّ قال لهم النَّجاشي: إنَّ هذا والَّذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة".